

بسم الله الرحمن الرحيم

مورد الظمان

في

علوم القرآن

تأليف

الشيخ صابر حسن محمد أبو سليمان

مدرس علوم القرآن بثانوية تحفيظ القرآن بالرياض

الناشر

الدار السلفية

١٣ - محمد علي بلدنك ، بيندي بازار بومبائي ٣ [الهند]

سلسلة مطبوعات الدار السلفية رقم ٦٠

حقوق الطبع محفوظة للدار السلفية بمبائى



الطبعة الأولى

١٩٨٤ م ٥١٤٠٤

AL - DARUSSALAFIAH
13, Mohammed Ali Building,
Bhindi Bazar, BOMBAY - 400 003
(INDIA)

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .
والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله أفضل رسل الله وصحبه وأزواجه
وذريته وعلى كل من والاه . وبعد !

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيركم من تعلم القرآن
وعلمه ، وقد أنجز الله سبحانه وتعالى ما وعد به رسوله المصطفى من قوله
« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ،

فقد وفق الله سبحانه وتعالى في كل زمان ومكان من ارتضى من
عباده لخدمة القرآن الكريم فقاموا وخدموا القرآن خدمات عظيمة ، فمنهم
من حفظه وأتقن حفظه فهو يتلوه آناه الليل وآناه النهار ، ومنهم من فسر
وشرح غوامضه وكشف أسراره ، ومنهم من صنف في بيان اللهجات
والقرامات ، ومنهم من بحث عن إعرابه وتركيبه العجيب ، ومنهم من بحث
عن الناحية البلاغية والصناعية في القرآن ، ومنهم من استنبط الأحكام
والفنون والعلوم منه ، ومنهم من صنف في علومه المتنوعة .

وكل واحد حرص أن يكون بمن بشر له الرسول الكريم صلوات
الله وسلامه عليه « خيركم من تعلم القرآن وعلمه ، فقام بما تيسر له من
الخدمة لكتاب الله .

وإن الامام السيوطى رحمه الله وضع كتابه الجامع فى علوم القرآن المسمى « بالاتقان » فكل من جاء بعده استفاد منه وإن كتابه من أحسن الكتب المؤلفة فى علوم القرآن وإن كان بحاجة إلى تخرىج بعض الأحاديث وبيان درجته من الصحة والسقم . ومن أدلى دلوه فى خدمة الكتاب المكنون أخونا الفاضل الشيخ المقرئ صابر حسن محمد أبو سليمان وفقه الله مدرس علوم القرآن بثانوية تحفيظ القرآن بالرياض .

فجمع فى كتابه المسمى بمورد الظمان فى بيان علوم القرآن كل ما رآه نافعا وضروريا لطلبة وحمة القرآن وقد اتقى هذه البحوث من كتب جمة مؤلفة فى علوم القرآن وحاول إيصال الطلاب إلى معرفة علوم القرآن بطريقة سهلة ، جزاه الله خيرا .

وإن المدار السلفية قد تعزز بطبع هذا الكتاب ونشره للاستفادة وهذا هو الكتاب الثانى فى علوم القرآن المطبوع من المدار السلفية وقد سبق أن نشرت المدار « كتاب التبصرة فى القراءات السبع لمكى بن أبى طالب » وقد أنشئت هذه المدار نشر الكتب النافعة للطلبة وأهل العلم وهى تحوّل كل الحرص على طبع كتب سلفنا الصالح رحمهم الله وتعاون مع الراغبين فى طبع الكتب النافعة .

والله نسأل أن يوفقنا لما يحب ويرضى ويجعل آخرتنا خيرا من الأولى .
وصلى الله وسلم وبارك على محمد وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين ؟

مختار أحمد الندوى

٢١ جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ

مدير المدار السلفية بومباي

١٩٨٤ م

٢٢ مارس

بسم الله الرحمن الرحيم

(المقدمة)

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله .
وأصلى وأسلم على صفوة الخلق نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد !

فلما كانت حاجة أبنائنا طلاب الصف الاول الثانوى بمدرسة تحفيظ القرآن الكريم الثانوية ماسة الى تأليف كتاب فى - علوم القرآن يتناسب مع مداركهم ومستواهم الثقافى .

دفعنى ذلك الى تأليف كتابى هذا المسمى [الرائد فى علوم القرآن] حسب المنهج الذى أقرته وزارة المعارف مراعى فيه وضوح العبارة وسبك اللفظ وجودة المعانى . عسى الله أن ينفع به أبنائنا طلاب القسم الثانوى وكل من نظر فيه بعين الانصاف والتقدير والله أسأل أن يثيبنى عليه وأن يتقبله منى عملا خالصا لوجهه الكريم وان يغفرلى ولوالدى ولشايخى ولأصحاب الحقوق على . انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ونعم المولى ونعم النصير غفرانك ربنا واليك المصير .

« علوم القرآن »

هذا اللفظ مركب إضافي وله جزآن : مضاف و هو « علوم »
ومضاف إليه و هو « القرآن » .

وله معنيان : معنى باعتباره مركبا إضافيا . و معنى باعتباره علما .
أما المعنى الأول فيراد بكلمة علوم - و هو المضاف - كل علم يخدم
القرآن الكريم ، و يتصل به ، و يستند إليه ، و ينتظم ذلك .

علم التفسير ، و علم أسباب النزول ، و علم إعجاز القرآن و علم
الناسخ و المنسوخ ، و علم إعراب القرآن ، و علم القراءات ، و علم عد الآي
و فواصلها ، و علم الرسم العثماني ، و علم الدين من فقه و توحيد و غيرها
و علم العربية من نحو و بلاغة و سواهما .

ويراد بكلمة « القرآن » ، و هو المضاف إليه - الكتاب المقدس المنزل
على سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم .

و أما المعنى الثاني فيراد به أن لفظ « علوم القرآن » ، نقل من هذا
المعنى الإضافي و جعل علماً على الفن المدون ، و أصبح مدلوله علما غير
مدلوله مركبا إضافيا .

ويمكن تعريفه علماً بأنه المباحث المتعلقة بالقرآن من ناحية مبدأ نزوله وكيفية هذا النزول ومكانه ومدته ، ومن ناحية جمعه وكتابه في العصر النبوي وعهدى أبي بكر وعمر ، ومن ناحية إعجازه ؛ وناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، وأقسامه وأمثاله .

ومن ناحية ترتيب سورة وآياته ، وترتيبه وأدائه إلى غير ذلك من النواحي .

وموضوع هذا العلم « القرآن الكريم » ، من النواحي المذكورة .
ولمعرفة هذا العلم فوائد عديدة نجمل أهمها فيما يلي :

الفائدة الأولى : إنه يساعد على فهم القرآن ، واستنباط الأحكام والآداب منه ويعرف المدارس له مبدأ نزوله ، وكيفية هذا النزول ومدته ، ويقف على نواحي إعجازه ، وعلى ناسخه ومنسوخه ، ومكيه ومدنيه ، ومحكمه ومتشابهه . وعلى ترتيب سورة وآياته ، وكيفية ترتيبه وأدائه إلى غير ذلك .

الفائدة الثانية : إن المدارس لهذا العلم يتسلح بسلاح قوى يمكنه من دحض مفتريات أعداء القرآن ، وتفنيد مزاعمهم ، وإبطال ترماتهم ؛ وغير خاف أن الدفاع عن القرآن الكريم من أوجب الواجبات على كل من يقدر عليه . ويجيد أساليبه وطرقه .

الفائدة الثالثة : إن المدارس لهذا العلم يكون ذا حظ كبير ، وقسط وفير من الثقافة القرآنية ، وما اشتمل عليه القرآن من علوم ومعارف مما

يكون له أحسن الأثر في إصلاح النفس ، وتربية الضمير ، وتهذيب الخلق .
والخلاصة ! أن أبحاث هذا العلم الكثيرة القيمة يستعان بدراستها
على فهم الكتاب العزيز ، والوقوف على شريف أسراره وكريم أهدافه .

المؤلف

صابر حسن محمد أبو سليمان

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« الوحي »

معنى الوحي في اللغة :

الاعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه اليه بحيث يخفى على غيره ،
ويدخل تحت ذلك أنواع عديدة من الاعلام منها :
الالهام الغريزي ، كالوحي الى النحل في قوله تعالى « وأوحى ربك
الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا و من الشجر وما يعرشون » ،
الهام الخواطر ، بما يلقيه الله في روع الانسان السليم الفطرة الطاهر الروح
كالوحي الى أم موسى في قوله تعالى « و أوحينا الى أم موسى أن أرضعيه » ،
وسوسة الشيطان وتزيينه خواطر الشر للانسان في قوله تعالى
« وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى
بعض زخرف القول غرورا » .

و وحي الله تبارك و تعالى الى أنبيائه قد روعي فيه المعنيان الاصليان

(١) سورة النحل رقم : ٦٨

(٢) سورة القصص رقم : ٦

(٣) سورة الانعام رقم : ١١٢

لهذه المادة : وهما الخلفاء والسرة .

ومعنى الوحي فى الشرع تكليم الله سبحانه واحدا من عباده بطريقة

من طرق الوحي .

أنواعه هى :

[١] تنزيل الكتب السماوية بواسطة ملك الوحي .

[٢] القاء المعنى فى قلب النبي أو نقشه فى روعه .

[٣] تكليم النبي من وراء حجاب .

[٤] هى التى متى أطلقت انصرفت الى ما يفهم عادة من لفظة

« الإيحاء » ، وقد صرحت الآية الكريمة بثلاثة أنواع من الوحي قال تعالى

« وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا ؛ أو من وراء حجاب ، أو يرسل

رسولا فيوحى باذنه ما يشاء انه على حكيم » .

طرقه هى :

[١] أن يأتيه الملك فى مثل صلصلة الجرس .

[٢] أن ينفث فى روعه الكلام نقفا .

[٣] أن يأتي فى صورة الرجل فيكلمه .

[٤] أن يأتيه الملك فى النوم .

[٥] أن يكلمه الله اما فى اليقظة أو فى النوم .

وعلى هذا النمط رسم النبي الكريم فيما صح من حديثه طريقة نزول الوحي على قلبه ، فقال : أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى وقد وعيت ما قال ، ، و أحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأهى ما يقول ، ، .

فكشف النقاب صراحة عن صورتين من الوحي :

احدهما : عن طريق القاء القول الثقيل على قلبه ، ولديه يسمع صوتا متعاقبا متداركا كصوت الجرس المصاصل المججل ، وفي مسند أحمد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، سألت النبي صلى الله عليه وسلم ، هل تحس بالوحي ؟ فقال أسمع صلاصل ثم اسكت وعند ذلك ، فما من مرة يوحى الى الاظننت أن نفسى تقبض ، . قال الخطابي : والمراد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يثبت أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد . وقيل هو صوت خفق أجنحة الملك والحكمة فى تقدمه أن يفرغ سمعه للوحي فلا يبقى فيه مكانا لغيره وفى الصحيح أن هذه الحالة أشد حالات الوحي عليه وقيل انه انما كان ينزل هكذا اذا نزلت آية وعيد أو تهديد .

والثانية : عن طريق تمثّل جبريل له بصورة انسان يشاكلة فى المظهر ولا ينفره ، ويطمئنه بالقول ولا يرعبه ، وما من شك فى أن الصورة الاولى أشد وطأ وأثقل قولاً ، كما قال الله تعالى . انا سئلق عليك قولاً

ثقيلاً ، حتى كان يصحب الوحي فيها رشح الجبين عرقاً ، كما قالت السيدة عائشة أم المؤمنين ، ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه و ان جبينه ليتفصد عرقاً ، .

بل كانت وطأة الوحي في هذه الصورة تبلغ أحيانا من الشدة والثقل حدا يجعله راحلته تبرك به الى الارض اذا كان راكبها ولقد جاءه مرة كذلك ويخذه على نخذ زيد بن ثابت ، فتقلت عليه حتى كادت ترضها ، .

أما الصورة الثانية فهي أخف وطأ وألطف وقما ، فلا أصوات تجلجل ، ولا جبين يرشح ، بل تشابه شكلي بين الملقى و المتلقى ، ييسر الامر في الوقت نفسه على ناقل الوحي الامين وعلى النبي الكريم .

وفي كلتا صورتين يحرص النبي صلوات الله عليه على وعى ما أوحى اليه اذ قال في المرة الاولى : فيفصم عنى وقد وعيت ما قال ، وفي الثانية ، فيكلمنى فأعنى ما يقول ، فاثبت لنفسه الوعي الكامل لحالته قبل الوحي ، وحالته بعد الوحي ، وحالته أثناء الوحي سواء أخفت وطأة النازل القرآني عليه ، أم إشتدت وبهذا الوعي الكامل لم يخاط عليه السلام مرة واحدة - طيلة العصر القرآني الذي يضم كل مراحل التنزيل - بين شخصيته الانسانية المأمورة المتلقية وشخصية الوحي الآمرة المتعالية ، فهو واع أنه انسان ضعيف بين يدي الله يخشى أن يحول الله بينه وبين قلبه ، ويتهل الى ربه في دعائه

الماتور ، الله يا مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك ؛ اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، بل كان أول عهده بنزول الوحي - مخافة ضياع بعض الآيات من صدره يجعل بالقرآن من قبل ان يقضى اليه وحيه ، ويحرك به لسانه وشفقيه ليستذكره و لا ينساه ، ويحرص على متابعة جبريل في كل حرف يدارسه اياه حتى يسر الله عليه حفظه بتفريقه و تنجيته ؛ وأمره بالاطمئنان الى وعده فقال سبحانه ، لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه و نهاء عن هذه العجلة التي لا مبرر لها فقال جل شاناه : « و لا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه ، وقل رب زدني علما » .

و من يتل الآيات القرآنية التي تصور رسول الله انسانا ضعيفا بين يدي الله ، يستمد منه العون ، و يستهديه و يستغفره ، و يصدع بما يأمره و أحيانا يتلقى العتاب الشديد يمد في اعماق قلبه من الفيض الوجداني ما يحمله على الاقتناع بالفرق الذي لا يتناهى بين صفة الخالق و صفة المخلوق .

ان صورة محمد صلى الله عليه و سلم في القرآن هي صورة العبد المطيع ، الذي يخاف عذاب ربه ان عصاه ، لذا يلتزم حدوده ، و يرجو رحمته ، و يعترف بعجزه المطلق عن تبديل حرف من كتاب الله ، قال تعالى :

(١) سورة القيامة رقم : ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩

(٢) سورة طه رقم : ١١٤

و اذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاى نفسى ان أتبع الا ما يوحى الى انى أخاف ان عصيت ربه عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدريكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون ، .

الى غير ذلك من النصوص القرآنية التى تصور محمدا صلى الله عليه وسلم بأنه لا دخل له فى الوحى ، فلا يصوغه بلفظه ؛ ولا يلقيه بكلامه وإنما يلقى اليه الخطاب القاه ، فهو مخاطب لا متكلم ؛ حاك ما يسمعه ، لا معبر عن شىء يحول فى خاطره .

وقد نهى عليه السلام أول العهد بنزول الوحى عن تدوين شىء سوى القرآن ، لئلا يحفظ للقرآن صفته الربانية ، ويحول دون اختلاطه بشىء ليست له هذه الصفة القدسية ؛ بينما كان عند نزول الوحى - ولو آية أو بعض آية - يدعو أحد الكتبة فوراً ليدون ما نزل من القرآن .

فها هو ذا النبى عليه السلام مقتنعا - من خلال ما سبق بان التنزيل القرآنى مصحوب بانمحاء ارادته الشخصية ، وانسلاخه من الطبيعة البشرية

(١) سورة يونس رقم : ١٥ ، ١٦

(٢) فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تكتبوا عنى ، ومن كتب عنى غير القرآن فليحمله ، وحدثوا عنى ولا حرج و من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار .

حتى ما بقي له عليه السلام اختيار فيما ينزل اليه أو ينقطع عنه ، فقد يتتابع الوحي ويحصى حتى يكثر عليه ، وقد يفتر عنه أحوج ما يكون اليه .

ثم ما هو ذا الوحي ينقطع عن النبي وهو أشد ما يكون اليه شوقا ، وله طلبا فبعد أن نزل عليه جبريل باوائل سورة العلق « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، فتر الوحي ثلاث سنين ، فحزن النبي - كما قالت السيدة عائشة حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواق الجبال ، فكلمها أوفى بذروة جبل لكي يلتقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال : يا محمد أنت رسول الله حقا ، فيمكن لذلك جاشه وتقر نفسه ، وبينما هو ماش ذات يوم اذ سمع صوتا من السماء فرفع بصره ، فاذا الملك الذى جاءه بجماء فرعب منه فرجع الى زوجته الوفية خديجة يقول : زملونى فانزل الله « يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ، فخمى الوحي وتتابع واستبشر النبي وتبدل انتظاره الحزين فرحة غامرة ، وأيقن أن هذا الوحي الذى استعصى عليه ولم يوافه طوع ارادته مستقل عن ذاته خارج عن ارادته ، فاستقر فى ضميره الواعى أن مصدر هذا الوحي هو الله علام الغيوب .

وفى الصحيحين أن الوحي فاجأه وهو يقظ يلتمس الحقيقة ويبحث عن الله ، ولذلك رعب وجاء خديجة يرجف فؤاده . ولو وقع له هذا فى المنام كما ذهب اليه بعض المفسرين لزال خوفه ورعبه بعد اليقظة ، فلا مراما قال القرآن : « ما كذب الفؤاد ما رأى اقمه - رونه على ما يرى ، » .

بهذه الحساسية الواعية المرهفة صورت السيدة عائشة بدء الوحي فقالت :

« أول ما بدئني به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله يتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها - وصار على هذا المنوال - حتى جاءه الحق وفي رواية « فجاء الحق - وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال : « اقرأ ، قال : ما أنا بقارئ ، قال : فأخذني فغطني - أي ضمني وعصرني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ، فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده ؛ فدخل على خديجة بنت خويلد رضيت الله عنها فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر « لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

ومن الجدير بالذكر أن رجفة فؤاده عليه السلام تشير الى الرعب

الذي إعتراه لأن الوحي نزل عليه فجأة ولم يكن يتوقعه كما قال الله تعالى

وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك^١ ، وكما قال تعالى
« وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان
ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا^٢ » .

وان كنت قد أظنبت في تفسير ظاهرة الوحي لأنها توطئة بين يدي
هذه الدراسة القرآنية .

الخلاصة :

وخلاصة ما يمكن أن نذكره في ظاهرة الوحي ما يأتي :

- ١ - انها حالة غير اختيارية .
- ٢ - هي أمر عارض غير عادي .
- ٣ - وهي قوة خارجية : لأنها لا تتصل بنفس النبي صلى الله عليه
وسلم الا حينئذ بعد حين .
- ٤ - وهي قوة عالية : لأنها توحى اليه علما .
- ٥ - وهي قوة خيرة معصومة : لأنها لا توحى الا بالحق ولا تأمر
الا بالرشد .

(١) سورة القصص رقم : ٨٦

(٢) سورة الشورى رقم : ٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

معرفة المكي والمدني

مكث النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة عمرا ما كان يدري فيه ما الكتاب ولا الايمان ، ثم اختاره الله لتبليغ رسالته ؛ فأوحى اليه روحا من أمره ، وجعل مبعثه كبعث الرسل الذين مضوا من قبله في سن الأربعين ليكون أنضج فكرا وأصدق عزمًا ، وأمضى ارادة وأقوى بأسا ، وأوسع تجربة ، وأثبت حنانا .

ان في وسعنا الآن - أن نتدرج مع التنزيل القرآني مرحلة مرحلة مطمئنين الى ما وافانا به سلفنا الصالح في وصف تلك المراحل ابتداء ووسطا وختامًا ، وفي تقصي النوازل القرآنية المنجمة على حسب المناسبات الفردية أو الاجتماعية ، وفي تحرى جمع القرآن وحفظه واستنساخه في المصاحف وتحسين رسمه ، وفي الاستيثاق من متواتر أحرفه السبعة ، وفي تتبع أسباب نزوله وما صح من وجوه الترابط بين آياته ، بما عرف عنهم من ورع بالغ ، وحاسة نقدية مرهفة تعنى بالتناسق الفنى .

حقائق التاريخ

وما لا يدع مجالاً للشك - اذا وضعنا العلوم القرآنية موضع الموازنة -

في أن العلم بالمكي والمدني أحوجها الى تمحيص الروايات ، و تحقيق النصوص ، والتحاكم الى التاريخ الصحيح و هو - على كل حال - أحوج من هذا كله من « أسباب النزول » ، لأن العلم بتلك الأسباب يتناول ضربا معينة من الجزئيات المتعلقة بالمناسبات الفردية والاجتماعية ولا يتناول شيئا من التفصيلات القرآنية الأخرى التي نزلت ابتداء غير مبنية على أسباب . أما علم المكي والمدني فلا غنى له عن تناول القرآن كله سورا وآيات .

فكل سورة فيه اما مكية أو مدنية ، و قد تستقى من السورة المكية آيات مدنية ، ومن السورة المدنية آيات مكية : كما أن كل آية في القرآن معروفة « الهوية » ، واضحة السيرة فاذا اختلطت بغير زمرتها أخضعها العلماء الثقات لمقاييسهم النقدية الدقيقة حتى قطعوا أو كادوا يقطعون بانها تنتمي الى النوازل المكية أو المدنية .

كان العلم بالمكي والمدني اذن جديرا بالعناية البالغة التي أحيط بها و خليقا أن يعد بحق منطلق العلماء لاستيفاء البحث .

في مراحل الدعوة الاسلامية ، والتعرف على خطواتها الحكيمة المتدرجة مع الأحداث و الظروف و التطلع الى مدى تجاوزها مع البيئة العربية في مكة و المدينة ، و في البادية والحاضرة و الوقوف على أساليبها المختلفة في مخاطبة المؤمنين و المشركين و أهل الكتاب .

و وفاء هذا العلم بتلك المعارف الواسعة جعل بحوثه اشتاتا و ألوانا

فهو في آن واحد ترتيب زماني ، وتحديد مكاني ، وتبويب موضوعي
وتعيين شخصي .

ويجبل الينا ان هذه الألوان المتباينة قد طافت بازمان العلماء حين
ترددوا في تقسيم المكي والمدني على أساس من المكان والزمان
او الأشخاص .

فن قال : المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة ، والمدني ما نزل بالمدينة
لاحظ المكان .

ومن قال : « المكي ما وقع خطابا لأهل مكة والمدني ما وقع خطابا لأهل
المدينة راعى أشخاص المخاطبين ومن أثر الاخذ بالاصطلاح المشهور ،
المكي ما نزل قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة وان كان
نزوله بغير مكة ، والمدني ما نزل بعد الهجرة وان كان نزوله بمكة عنى
بالترتيب الزمني في مراحل الدعوة الاسلامية ونحن اذا ناخذ بهذا التعريف
الأخير لا نكتفم الطالب ما نلحه من تحقيق عناصر الزمان والمكان والأشخاص
في الاصطلاحات الثلاثة على السواء بل نلح فيها أيضا عنصرا رابعا لا يخفى
على ذي بصر : وهو عنصر الموضوع .

هذه سورة الممتحنة من أولها الى آخرها نزلت بالمدينة اذا لاحظنا

(١) وقد نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين دفع كتابه الى قريش =

المكان . وكان نزولها بعد الهجرة اذا اعتبرنا الزمان ، و وقعت خطابا لاهل مكة اذا اردنا الأشخاص ، واشتملت على توجيه اجتماعي محص قلوب المؤمنين اذا رغبتا بمعرفة موضوعها لذلك أدرجها العلماء في باب « ما نزل بالمدينة وحكمه مكي .

ومثل ذلك قوله تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر و أنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

نزلت بمكة اذا التمسنا المكان ، ويوم الفتح بعد الهجرة ان تحريتا الزمان والغاية منها الدعوة الى التعارف وتذكير الانسانية بوحدة أصلها ان عيننا الموضوع ، وهي - ان راعينا الأشخاص - خطاب لاهل مكة والمدينة على السواء ، فاسماه العلماء مكيًا على الاطلاق ، ولا مدنيا على التعيين ، بل أدرجوه في باب « ما نزل بمكة وحكمه مدني .

على أننا لم نتردد في تفضيل التقسيم الزمني في المكي والمدني ، لأننا أمام موضوع وثيق الصلة بالتاريخ ، فليس لنا أن نختار في مثله التبويب المكاني ما دمنا نرمي الى تحديد ما نزل بمكة أو المدينة ابتداء ووسطا وختامًا ، فان هذه الاطوار المتعاقبة تفرض أن يكون اختيار الترتيب الزمني أمرا

= يخبرها بمسير النبي الى مكة .

(١) سورة الحجرات رقم : ١٣

بديها لا مجال للتردد فيه . أما تعيين الأشخاص واستخراج الموضوعات
فأمران ثانويان .

هذا المنهج التاريخي الزماني ، الذي لا يتجاهل أثر البيئة في الحياة
والاحياء أخذ المحققون من علمائنا وشددوا في ماأخذهم به حتى منعوا الجمل
بمراحل الدعوة الاسلامية أن يتصدى لكتاب الله مفسرا آياته أو خاضعا فيه .
قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري . « من أشرف
علوم القرآن علم نزوله وجهاته ،

و ترتيب ما نزل بمكة ابتداء و وسطا و ختاماً و ترتيب ما نزل بالمدينة
كذلك ، ثم ما نزل بمكة و حكمه مدني و ما نزل بالمدينة و حكمه مكّي .

و يعيننا من قول أبي القاسم النيسابوري هنا أنه قسم القرآن كله الى
ست مراحل زمنية : ثلاث في مكة ابتداء و وسطا و ختاماً و ثلاث بعدها في
المدينة ابتداء و وسطا و ختاماً .

و لو أتمنا عبارة أبي القاسم النيسابوري لوجدناه فيها - بعد التزامه
المنهج التاريخي الزماني - يلحق بهذا المنهج نفسه جزئيات تبدو في أظنارنا صغيرة
يسيرة ولكنها في نظره مامة جليلة اذا جعل العلم بها فريضة على كل من
يعنى بتفسير كتاب الله المجيد فعلى المفسر الحاذق الماهر أن يعرف كذلك
ما نزل بمكة في أهل المدينة و ما نزل بالمدينة في أهل مكة ثم ما يشبه نزول

(١) هو النحوى المفسر ؛ امام عصره في القراءات ، توفي سنة ٤٠٦

المكي في المدني ، وما يشبه نزول المدني في المكي ، ثم ما نزل بلحيفة ،
وما نزل بيت المقدس وما نزل بالطائف ، وما نزل بالحديبية ثم ما نزل ليلا ،
وما نزل نهارا وما نزل مشيعا ، وما نزل مفردا ، ثم الآيات المنفصلة في
السور المكية ؛ والآيات المكية في السور المدنية ، ثم ما حمل من مكة الى
المدينة ، وما حمل من المدينة الى مكة ، وما حمل من المدينة الى ارض
الحبشة ، ثم ما نزل بجحلا ، وما نزل مفسرا ، وما نزل مرهوزا ، ثم
ما اختلفوا فيه فقال بعضهم مكي ، وبعضهم مدني .

هذه خمسة وعشرون وجها من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له
أن يتكلم في كتاب الله تعالى .

والعلماء الثقات وافونا بذلك كله ، فلكل آية في القرآن تاريخها بل
لكل لفظه فيه سيرتها وترجمتها .

بعد الذي وضحناه من تشدد علمائنا في استقصاء كل ما يتعلق بالمكي
والمدني - في أن الرواية الصحيحة هي الطريقة الوحيدة الى ترتيب القرآن
أمثل ترتيب زمني ، والروايات في هذا المجال لم ترد الا عن الصحابة الذين
شاهدوا مكان الوحي وعرفوا زمانه أو التابعين الذين سمعوا وصف ذلك وتفصيله
من الصحابة أما الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يرد عنه شيء من هذا
القيل - لأنه عليه السلام ، كما يقول القاضي أبو بكر في الانتصار ، لم يؤمر
به ، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة وما لا شك فيه أن كثيرا

من الصحابة كانوا على علم كامل بالمكي والمدني به استطاعوا أن يستقصوا تلك الجزئيات الدقيقة التي حفلت بها كتب التفسير بالماثور والمؤلفات الكثيرة في علوم القرآن .

وفي وسعنا أن نكون فكرة عن غزارة علم الصحابة في هذه الموضوعات من خلال قول ابن مسعود : ز د و الذي لا اله غيره ما نزلت آية من كتاب الله تعالى الا وانا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت .

تقيمه : كثير من جزئيات المكي والمدني انتهى به العلم اليقيني عن طريق الاجتهاد ، و أن العقل كالنقل ، والقياس كالسمع في ثبوت العلم بالشيء . وقد لاحظ الجعبري هذا حين قال :

لمعرفة المكي والمدني طريقان : سمعي وقياسي - وعرف السماعي بأنه ما وصل اليقيني نزوله باحدهما ، .

ثم أنشأ يذكر أمثلة وشواهد على القياس واذ قرنا أمثله بأمثلة العلماء الذين مارسوا القرآن وتذوقوا فنونه وأساليبه استنبطنا من مجموعها ضابطا قياسيا نستطيع به أن نميز السور المكية والمدنية ، وتعرف الى طابع كل منها وخصائصه وسنرى أن هذا الضابط قلما يتخلف عند التطبيق فمن خصائص السورة المكية تبعاً لهذا الضابط .

١ - كل سورة فيها لفظ « كلا » فهي مكية وقد ذكر هذا اللفظ في القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة ، في خمس عشرة سورة كلها في النصف الأخير من القرآن . قال الدريني رحمه الله « وما نزلت كلا يثرب فاعلمن ولم تات

- في القرآن في نصفه الأعلى .
- ٢ - كل سورة فيها سجدة فهي مكية .
 - ٣ - كل سورة أولها حروف التهجي فهي مكية سوى الزهراوين فأنهما مدينتان بالاجماع و في الرعد خلاف .
 - ٤ - كل سورة فيها قصص الأنبياء و الأمم السابقة فهي مكية سوى البقرة .
 - ٥ - كل سورة فيها قصة آدم و ابليس فهي مكية سوى البقرة أيضا .
 - ٦ - كل سورة فيها يأبها الناس و ليس فيها يأبها الذين آمنوا فهي مكية ولكنه ورد على هذا ما تقدم بين يديك من سورة الحج .
 - ٧ - كل سورة من المفصل فهي مكية و هذا يحمل على الكثرة الغالبة من سور المفصل لا على جميع سور المفصل .
- أما ضوابط المدني . فكما يأتي :
- ١ - كل سورة فيها الحدود و الفرائض فهي مدنية .
 - ٢ - كل سورة فيها اذن بالجهاد و بيان لأحكامه فهي مدنية .
 - ٣ - كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية ما عدا سورة العنكبوت و التحقيق أن سورة العنكبوت مكية ما عدا الآيات الأحد عشرة الأولى منها فإنها مدنية و هي التي ذكر فيها المنافقون .

خصائص المكي

١ - نرى المكي غالبا يعالج موضوع بناء العقيدة بطريقة وحدانية وعقلية وموضوعية الأساس في اختصار كما يقول الأستاذ الشهيد سيد قطب [حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية وحقيقة العلاقات ، وتعريف الناس بربهم الحق الذي ينبغي أن يدينوا له ويعبدوه ، ويتبعوا أمره وشرعه وتنحية كل ما أدخل على العقيدة الفطرية الصحيحة من عبث ودخل وانحراف والتواء ، ورد الناس الى الالههم الحق الذي يستحق الدينونة لربوبته] .

٢ - ونرى في هذا النوع من القرآن جدالا للشركين بين خطائم الواضح ؛ والغامض العقل ، واتباعهم العادات المألوفة التي وجدوا عليها آباءهم ونرى فيه هجوما عنيفا على الشرك والوثنية والعادات الفاسدة ، وزجرا وتهديدا ووعيدا للكافرين .

٣ - ونرى أن المكي يغلب على آياته القصر ؛ وتكثر فيه كلمة « كلا ، ويكثر فيه افتتاح السور بالحروف من أمثال [ق] و [حم] و [كهيعص] . وأسلوب عرضه مسوح عميق الايقاع ، بالغ التأثير .

٤ - ونرى أن القرآن المكي يكثر من عرض قصص المكذابين .

خصائص المدنى

- ١ - نرى المدنى غالبا يعالج بناء المجتمع المسلم و الاسرة المسلمة بتفصيل احكام الشريعة فى نواحي الحياة المختلفة ، من معاملات و زواج و طلاق و ميراث ، وكانت هذه الاحكام مبنية على العقيدة و منبثقة منها .
- ٢ - و نرى فى هذا النوع من القرآن فضلا للتأقنين و كشفها لمواصرتهم ، و عرضا لتناقضاتهم و تسفيها لشعاراتهم المخادعة التى يطرحونها .
- ٣ - و نرى فيه مجادلة لأهل الكتاب ، و مناقشة آرائهم التى تتعارض احيانا مع حقائق التاريخ .
- ٤ - و نرى فيه ذكرا لأحكام الجهاد و الحرب و السلم و الهدنة بما يتصل بشئون الدولة المسلمة و علاقاتها الدولية .
- ٥ - و نلاحظ أن هذه الأغراض و غيرها عرضت بأسلوب يناسبها ؛ فليس من شك فى أن موضوع النص يحدد لون الأسلوب و طريقته ، ولهذا فأننا نرى أن الآيات فى القرآن المدنى يغلب عليها الطول . ولكن أسلوب القرآن فى النوعين : المسكى و المدنى يبق هو الأسلوب المعجز الذى تتميز عن أساليب البشر و يبق هو الأسلوب الذى بلغ الذروة فى الجمال و البيان و الروعة .

بسم الله الرحمن الرحيم

علم اسباب النزول

قد جعل الله لكل شىء سببا كما جعل لكل شىء قدرا ، فما يصير مولود نور الحياة الا بعد أسباب وأطوار ، ولا يقع حدث في الوجود الا اثر مقدمات وارهاضات ، ولا تتغير الاقنص والآفاق الا عقب سلسلة من التمهيد والاعداد .

« سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا »

ولا شىء كالتاريخ يشهد بصدق هذه السنة وانطباقها على واقع الحياة فما يسع مؤرخا ثاقب النظر دقيق الاستنتاج أن يجهل اسباب الحوادث ودوافعها ان اراد الوصول الى الحقائق التاريخية الثابتة من خلال الوثائق والنصوص .

لكن التاريخ لا يفرد وحده بالحاجة الى استنباط النتائج من خلال المقدمات ، واستبطان الحقائق من مضمون الأسباب ، بل العلوم الطبيعية والدراسات الاجتماعية والفنون الأدبية تشارك التاريخ كذلك في تطلعها الى معرفة الأسباب والمسببات ؛ واستشرافها الى العلم بالمبادئ والغايات .

قال الجعبري :

نزول القرآن على قسمين . قسم نزل ابتداء غير مبني على سبب من سؤال وحادثة ، كالكثير الآيات المشتملة على قصص الامم الغابرة مع أنبيائها أو وصف بعض الوقائع الماضية أو الأخبار الغيبية المستقبلية ، أو تصوير قيام الساعة أو مشاهد القيامة أو أحوال النعيم والعذاب ، وهي في القرآن كثيرة انزلها الله لهداية الخلق الى الصراط المستقيم وجعلها مرتبطة بالسياق القرآني سابقة ولاحقة ، من غير أن تكون اجابة عن سؤال أو بياناً لحكم شيء وقع . وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال وهذا محل البحث غير أننا لا نريد أن نستعرض جميع الآيات التي جاءت على أسباب ، فذلك شيء بعيد المدى إنما الغرض أن نحيطك علماً بما يمكن احاطته من أسباب النزول .

زعم بعض الناس أنه لا فائدة للامام بأسباب النزول وإنما لا تعدو أن تكون تاريخاً للنزول أو جارية مجرى التاريخ وقد أخطأ فيما زعم ، فان لأسباب النزول فوائد متعددة - .

منها وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم .

ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب ومنها الوقوف على المعنى ، قال الشيخ أبو الفتح القشيري « بيان سبب النزول طريق قوى في فهم الكتاب العزيز » .

ومنها أن يكون اللفظ عاماً ، ويقوم الدليل على تخصيصه

ومنها الوقوف على المعنى وازالة الاشكال .

قال الواحدى :

لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها و بيان نزولها .

و قال ابن دقيق العيد :

بيان سبب النزول طريق قوى في فهم معانى القرآن .

قال ابن تيمية :

معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ، فان العلم بالسبب يورث

العلم بالمسبب و منها دفع توهم الحصر و قال الشافعى رضى الله عنه ما معناه
في معنى قوله تعالى [قل لا اجد فيما أوحى الى محرما] .

ان الكفار لما حرموا ما أحل الله ، و أحلوا ما حرم الله ، و كانوا

على المضادة و المحادة جاءت الآية متناقضة لفرضهم ، فكأنه قال : لا حلال

الا ما حرمتوه و لا حرام الا ما أحللتوه ، نازلة منزلة من يقول لا تاكل

اليوم حلاوة ، فنقول : لا آكل اليوم الا الحلالة .

والفرض المضادة لا التنى و الاثبات على الحقيقة فكأنه قال : لا حرام

الا ما حللتوه من الميتة و الدم و لحم الخنزير و ما اهل لغير الله به ؛ و لم يقصد

حل ما وراه ، اذ القصد اثبات التحريم لا اثبات الحل .

قال امام الحرمين^٢ ، و هذا في غاية الحسن ، ولولا سبق الشافعى

(١) سورة الانعام رقم : ١٤٥

(٢) هو أبو المعالى عبد الملك بن أبى عبدالله بن يوسف بن محمد الجوينى الشافعى

الى ذلك لما كنا نستجيز مخالفة مالك في حصر المحرمات فيما ذكرته الآية
وهذا قد يكون من الشافعي اجراء مجرى التاويل ، ومن قال بمراعاة اللفظ
دون سببه لا يمنع من التأويل .

ان آيات الظهار - في أوائل سورة المجادلة - نزلت في أوس بن
الصامت ، فقد ظاهر من امرأته فخرها على نفسه كظهر أمه . وصرحت
الآيات بان كفارة الظهار تحرير رقبة ، أو صيام شهرين متتابعين ، أو اطعام
ستين مسكينا ؛ ثم وقعت لسلمة بن صخر واقعة بمائلة ، فظاهر من امرأته حتى
ينسلخ شهر رمضان ، فلما سال النبي عن شأنه أفتاه بما انزل الله في أوس .
ولم يكن حديث سلمة سبب نزول الآيات ولكن حديث أوس كان
سبب نزولها بيد أن العلماء اتفقوا على تعدية هذه الآيات الى غير سببها ،
فقالوا في أوائل تفسيرها على سبيل التجوز :
نزلت آيات الظهار في سلمة بن صخر .

وفي حديث الافك نزل حد القذف في رماة السيدة عائشة أم المؤمنين
رضى الله عنها وكان رماتها معلومين ولكن حد القذف تعداهم الى غيرهم ،
رغم ارتكابهم اقبح قذف وأوقحه لأنهم رموا أم المؤمنين ، ومن رمى
أم قوم فقد رماهم ، حتى جاءت عبارة الآية عامة جمعت في لفظ المحصنات

= العراقى ، شيخ الامام الغزالى ، وأعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي ،
توفى سنة ٤٧٨

عائشة مع غيرها فقال الله تعالى « و الذين يرمون المحصنات ١ » ،
والقول بتعدية الآيات الى غير أسبابها جر الجمهور الى الأخذ بعموم
اللفظ بدلا من خصوص السبب .

ومنها ازالة الاشكال في الصحيح عن مروان بن الحكم انه بعث الى
ابن عباس يسأله : لئن كان كل امرئ فرح بما أوتى وأحب أن يحمد
بما لم يفعل معذبا لتعذبن أجمعون .

فقال ابن عباس : هذه الآية نزلت في أهل الكتاب ثم تلا قوله
تعالى « واذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ،
الى قوله تعالى « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما
لم يفعلوا .

قال ابن عباس : سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه
واخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه فاستحمدوا
بذلك اليه وفرحوا بما أتوا من كتبهم ما سألهم عنه . انتهى بتصرف .
ومن ذلك قوله تعالى : « ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات
جناح فيما طعموا ٢ » ،

حكى عن عثمان بن مظعون وعمرو بن معد يكرب أنها كانا يقولان
الخير مباحة ، ويحجان بهذه الآية وخفي عليهما سبب نزولها ، فانه يمنع من

(١) سورة النور رقم : ٤

(٢) سورة المائدة رقم : ٩٣

ذلك ، وهو ما قاله الحسن وغيره لما نزل تحريم الخمر ، قالوا : كيف باخواننا الذين ماتوا وهي في بطونهم ؛ وقد أخبر الله أنها رجس فانزل الله تعالى . ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح . .

و من ذلك قوله تعالى : « واللائئ يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم » . قد أشكل معنى هذا الشرط على بعض الأئمة ، وقد بينه النزول روى ان ناسا قالوا : يا رسول الله ، قد عرفنا عدة ذوات الاقراء ، فما عدة اللائئ لم يحضن من الصغار والكبار ؟ فنزلت ، فهذا يبين معنى [ان ارتبتم] أى أن أشكل عليكم حكمهن ، وجهلتم كيف يعددن ؟ فهذا حكمهن .

و من ذلك قوله تعالى : [والله المشرق والمغرب ، فاينما تولوا فثم وجهه الله] .

فانا لو تركنا مدلول اللفظ لاقتضى ان المصلى لا يجب عليه استقبال القبلة سفرا ولا حضرا ، وهو خلاف الاجماع فلا يفهم مراد الآية حتى يعلم سببها ، وذلك أنها نزلت لما صلى النبي صلى الله عليه وسلم على راحته ، وهو مستقبل من مكة الى المدينة حيث توجهت به ، فعلم أن هذا هو المراد . و من ذلك قوله تعالى : [ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم] .

(١) سورة الطلاق رقم : ٤

(٢) سورة البقرة رقم ١١٥

(٣) سورة التغابن رقم : ١٤

فان سبب نزولها أن قوما أرادوا الخروج للجهاد فتمهم أزواجهم وأولادهم [فانزل الله تعالى هذه الآية ثم أنزل الله في بقيتها ما يدل على الرحمة وترك المؤاخذة فقال : و ان تمفوا و تصفحوا و تغفروا فان الله غفور رحيم] .

أول السنة :

و قد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشانه ، و تذكره به عند حدوث سببه خوف نسيانه ؛ و هذا كما قيل في الفاتحة نزلت مرتين : مرة بمكة ، و أخرى بالمدينة و كما ثبت في الصحيحين عن أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود أن رجلا أصاب من امرأة قيلة ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فانزل الله تعالى [وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات] فقال الرجل الى هذا ؟ فقال : بل لجميع أممي فهذا كان في المدينة ، و الرجل قد ذكر الترمذي أو غيره أنه أبو اليسر .

وسورة هود مكية بالاتفاق ، ولهذا أشكل على بعضهم هذا الحديث ؛ ولا اشكال ، لأنها نزلت مرة بعد مرة ومثاله في الصحيحين عن ابن مسعود في قوله تعالى [و يسألونك عن الروح] أنها نزلت لما سأله اليهود عن الروح وهو في المدينة . و معلوم أن هذه في سورة الاسراء وهي مكية بالاتفاق ،

(١) سورة هود رقم ١٤٤٠

(٢) سورة الاسراء رقم : ٨٥

فان المشركين لما سالوه عن ذى القرنين و عن اهل الكهف قبل ذلك بمكة
وان اليهود امرؤم ان يسألوه عن ذلك ، فانزل الله الجواب كما قد بين في
موضعه وكذلك ما ورد في [قل هو الله أحد] انها جواب للمشركين بمكة وانها
جواب لاهل الكتاب بالمدينة .

وكذلك ما ورد في الصحيحين من حديث المسيب لما حضرت
ابا طالب الوفاة ، وتلكا عن الشهادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لا تستغفرون لك ما لم أنه ، فانزل الله [ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا
للمشركين ولو كانوا اولى قربي] وانزل الله في ابي طالب [انك لا تهدي من
أحببت] .

وهذه الآية نزلت في آخر الأمر بالاتفاق ، وموت ابي طالب كان
بمكة ، فيمكن أنها نزلت مرة بعد أخرى وجعلت اخيرا في براءة والحكمة في
هذا كله أنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة تقتضى نزول آية ، وقد نزل
قبل ذلك ما يتضمنها ، فتؤدى تلك الآية بعينها الى النبي صلى الله عليه وسلم
تذكيرا لهم بها وبأنها تتضمن هذه والعالم قد يحدث له حوادث ، فيتذكر
أحاديث وآيات تتضمن الحكم في تلك الواقعة و ان لم تكن خطرت له تلك
الحادثة . مع حفظه لذلك النص :

وما يذكره المفسرون من أسباب متعددة لنزول الآية قد يكون من

هذا الباب .

ولا سيما وقد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال :
نزلت هذه الآية في كذا فانه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم ،
لا أن هذا كان السبب في نزولها .

وذهب جماعة من المحدثين أن هذا من المرفوع المسند كما في قول
ابن عمر في قوله تعالى [فساؤكم حرث لكم] .

وأما الامام أحمد^٢ فلم يدخله في المسند ، وكذا مسلم وغيره وجعلوا
هذا ما يقال بالاستدلال وبالتاويل فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية
لا من جنس النقل لما وقع .

[خصوص السبب وعموم الصيغة]

وقد يكون السبب خاصا والصيغة عامة ، لينبه على أن العبارة بعموم

اللفظ .

وقال الزمخشري في سورة الهجرة يجوز أن يكون السبب خاصا
والوعيد عاما ، ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى
التعريض بالوارد فيه ، فان ذلك أزجر له ؛ وأنكى فيه .

(١) سورة البقرة رقم : ٢٢٣

(٢) هو الامام أحمد بن محمد بن حنبل صاحب المذهب وكتاب المسند ولد سنة

١٦٤ وتوفي سنة ٢٤١

(تنبيهه)

اختلف علماء الأصول : هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب . فذهب الجمهور الى الأول ، وقد نزلت آيات في أسباب واتفقوا على تعديتها الى غير اسبابها كنزول آية الظهر في سلمة بن سخز ، وآية اللعان في شأن هلال بن أمية وحاد القاذف في رماة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ثم تعدى الى غيرهم وقد تقدم بسط الكلام في ذلك وذهب البعض الى أن العبرة بخصوص السبب ومعنى هذا أن لفظ الآية يكون مقصورا على الحادثة التي نزل هو لأجلها أما أشباهها فلا يعلم حكمها من نص الآية ؛ إنما يعلم بدليل مستأنف آخر ، هو القياس اذا استوفى شروطه أو نص كقوله صلى الله عليه وسلم « حكمى على الواحد حكمى على الجماعة ، فأية القذف السابقة النازلة بسبب حادثة هلال مع زوجته خاصة بهذه الحادثة وحدها « على هذا الرأى .
أما حكم غيرها بما يشبهها ، فانما يعرف قياسا عليها أو عملا بالحديث المذكور .

(تنبيهه)

ان هذا الخلاف القائم بين الجمهور وغيرهم ، محله اذا لم تقم قرينة على تخصص لفظ الآية العام بسبب نزوله أما اذا قامت تلك القرينة فان الحكم يكون مقصورا على سببه لا محالة ، باجماع العلماء .

(تنبيه)

كما يجب أن نلاحظ أيضا الى أن حكم النص العام الوارد على سبب يتعدى عند مؤلاء و مؤلاء الى أفراد غير السبب يد أن الجمهور يقولون انه يتناولهم بهذا النص نفسه وغير الجمهور يقولون انه لا يتناولهم الا قياسا أو بنص آخر كالحديث المعروف .

« حكمى على الواحد حكمى على الجماعة ،

و خلاصة القول :

أن ثمره هذا الخلاف ترجع الى أمرين « أحدهما ، أن الحكم على أفراد غير السبب مدلول عليه بالنص النازل فيه عند الجمهور . و ذلك النص قطعى المتن اتفاقا ؛ وقد يكون مع ذلك قطعى الدلالة . أما غير الجمهور فالحكم عندهم على غير أفراد السبب ليس مدلا عليه بذلك النص بل بالقياس أو الحديث المعروف ؛ وكلاهما غير قطعى .

« الثانى ، أن أفراد غير السبب كلها يتناولها الحكم عند الجمهور ما دام اللفظ قد تناولها . أما غير الجمهور فلا يسحبون الحكم الا على ما استوفى شروط القياس منها دون سواء .

« ان أخذوا فيه بالقياس ،

ثم اعلم أنه قد يكون النزول سابقا على الحكم ، وهذا كقوله تعالى :

« قد أفلح من تزكى » ، فانه يستدل بها على زكاة الفطر ، روى البيهقي بسنده الى ابن عمر أنها نزلت في زكاة رمضان ، ثم أسند مرفوعا نحوه ، وقال بعضهم : لا ادري ما وجه هذا التأويل لأن هذه السورة مكية ، ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة .

وأخرج البغوى في تفسيره ، بانه يجوز أن يكون النزول سابقا على الحكم : كما قال « لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد » ، فالسورة مكية وظهر أثر الحل يوم فتح مكة : حتى قال عليه السلام : « أحلت لى ساعة من نهار » ،

وكذلك نزل بمكة « سيهزم الجمع ويولون الدبر » ، وقال عمر بن الخطاب : كنت لا ادري اى الجمع يهزم ، فلما كان يوم بدر رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول [سيهزم الجمع ويولون الدبر] .

يكون الحكم سابقا على النزول كما فى آية الوضوء فى صحيح البخارى عن عائشة قالت « سقطت قلادة لى باليداء ونحن داخلون المدينة ، فاناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل قثنى رأسه فى حجرى راقدا ؛ وأقبل أبو بكر فلكنزنى لكزة شديدة . وقال حبست الناس فى قلادة ، ثم ان الذى

(١) سورة الاعلى رقم : ١٤

(٢) سورة البلد رقم : ١ - ٢

(٣) سورة القمر رقم : ٤٥

صلى الله عليه وسلم استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد ؛ فنزلت
 - يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة الى قوله - لعلمكم تشكرون ا فالآية
 مدنية اجماعا ، وفرض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلاة : قال ابن عبد البر :
 معلوم عند جميع أهل المغازى أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل منذ فرضت
 عليه الصلاة الا بوضوء . ولا يدفع ذلك الا جاهل او معاند قال : والحكمة
 في نزول آية الوضوء مع تقدم العمل به ليكون فرضه متلوا بالتنزيل . وقال
 غيره : يحتمل أن يكون أول الآية نزل مقدما مع فرض الوضوء ثم نزل بقيتها
 وهو ذكر التيمم في هذه القصة . قلت يرد الاجماع على أن الآية مدنية :
 ومن أمثله أيضا : آية الجمعة ، فانها مدنية والجمعة فرضت بمكة ، وقول ابن
 الفرس ان اقامة الجمعة لم تكن بمكة قط برده ما أخرجه ابن ماجه عن
 عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كنت قائد أبي حين ذهب بصره ،
 فكنت اذا خرجت به الى الجمعة فسمع الاذان يستغفر لأبي امامة أسعد بن
 زرارة فقلت يا أبتاه رأيت صلاتك على أسعد بن زرارة كلما سمعت النداء
 بالجمعة لم هذا ؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأحرف السبعة

نجد في الأحاديث الصحيحة المروية من طرق مختلفة ما يفيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم صرح بنزول القرآن على سبعة أحرف . ومن أصرح هذه الأحاديث ما رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري ، أن عمر بن الخطاب رضی الله عنه قال :

« سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذت أساوره في الصلاة ، فانتظرت حتى سلم ، ثم ليته بردائه أو بردائي فقلت : من أقرأك هذه السورة ؟ قال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت له : كذبت ، فوالله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرأها ، فانطلقت أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : يا رسول الله ، اني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم يقرئها وانت أقرأني سورة الفرقان : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله يا عمر ، اقرأ يا هشام . فقرأ هذه القراءة التي سمعتها يقرأها . »

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هكذا أنزلت ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرؤا ما تيسر منه ، و روى هذا الحديث عن جمع كبير من الصحابة منهم عمر و عثمان و ابن مسعود و ابن عباس وغيرهم رضی الله عنهم أجمعين .

و روى الحافظ أبو يعلى في مسنده الكبير أن عثمان رضی الله عنه قال يوما وهو على المنبر : « أذكر الله رجلا سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف ، لما قام قاموا حتى لم يحصوا فشهدوا بذلك ، فقال عثمان رضی الله عنه : « و أنا أشهد معهم ، و توافر هذه الجموع التي لم تحص عددا على هذا الموضوع ، حمل بعض الأئمة على القول بتواتر الحديث ، و في طليعة هؤلاء أبو عبيد القاسم بن سلام و اذا لم يتوافر التواتر في الطبقات المتأخرة ، فحسبنا صحة الأحاديث التي ذكرناها مؤكدة لهذه الحقيقة الدينية التي نطق بها رسول الله عليه السلام و يفتح جمهور العلماء الى ان المصاحف العثمانية اشتملت على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة ، و اختار القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلائي هذا الرأي و قال :

« الصحيح أن هذه الأحرف السبعة ظهرت واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضبطها عنه الأئمة وأثبتها عثمان و الصحابة في المصحف ،

وأخبروا بصحتها ، وإنما حذفوا منها ما لم يثبت متواترا .

وعبارة « الأحرف » ، وهي جمع حرف - الواردة في الحديث تقع على معان مختلفة فقد تكون بمعنى القراءة كقول ابن الجزرى « كانت الشام تقرأ بحرف ابن عامر ، وقد تفيد المعنى والجهة كما يقول أبو جعفر محمد بن سعدان النحوى » .

ولكن القول بأن المراد بها القراءات - كما حكى عن الخليل بن أحمد - هو أضعف الأقوال بلا ريب ، ولا سيما إذا توهم القائل أنها ما يسمى بالقراءات السبع واختلاف العلماء في تحديد المراد من « الأحرف » المذكورة في الحديث أثار عددا من الأقوال المتضاربة في حقيقة الذى أنزل . فرأى فيه بعضهم خمسة وثلاثين وجها ، وبلغ بها آخرون أربعين ، وأكثرها لا يؤيدما نقل صحيح ولا منطلق سليم . ومنشأ الخطأ فيها ارادة التعمين على سبيل القطع والجزم مع أنه لم يأت في معناها كما يقول ابن العربى - « نص ولا أثر ، واختلف الناس في تعييتها » .

ولم يكن بد من أن يتساءل العلماء : هل العدد محصور في سبعة أحرف أم المراد التوسعة على القارئى ولم يقصد به الحصر ؟

فالذين يستبعدون الحصر هنا يغالون في هجران النصوص البالغة درجة

(١) هو أحد القراء بدأ يقرأ بقراءة حمزة ثم اختار لنفسه قراءة خاصة تنسب

اليه توفى سنة ٢٣١

التواتر - كما أسلفنا - مع أن تواردهما على عدد « السبعة » ، لا يعقل بحال من الاحوال أن يكون غير مقصودة ولا سيما اذا لوحظ أن الحديث يتناول قضية ذات علاقة مباشرة بالوحى وطريقة نزوله ، وفي مثل هذه الامور لا يلقى الرسول صلى الله عليه وسلم الخبر غامضا ولا يذكر عددا لا مفهوم له ، فما نقل عن علماء الصحابة في هذا ليس له صلة بالاعتقاد ولكن قوما ممن لا يبالون بالنصوص ولا يتورعون عن هجرانها أو اخراجها عن ظاهرها تسرعوا فأروا ، أنه ليس المراد بالسبعة العدد ، بل المراد التيسير والتسهيل والسعة ، ولفظ السبعة يطلق على ارادة الكثرة في الآحاد كما يطلق السبعون في العشرات والسبعائة في المئين ، ولا يراد العدد المعين ، ومن الغريب أن ينسب مثل هذا الرأى الى القاضى عياضاً وهو الذى لا يفضل على الرواية الصحيحة شيئا ولكن السيوطى رد على هذا القول ردا قويا مؤيدا بالنصوص .

واذن فلفظ السبعة لا يراد به الكثرة بل الحصر كما فهمه جل العلماء وهو الذى كان السبب فيما عانوه من محاولة البحث عن هذا العدد المعين فالأكثر - كما يقول ابن حيان - على أنه محصور في سبعة يد أن كثيرا من تلك

(١) القاضى عياض هو عالم المغرب وامام اهل الحديث في قرطبة ، وهو عياض

ابن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي ، صاحب كتاب الشفاء ، بتعريف

حقوق المصطفى ، توفى سنة ٥٤٤ هـ .

المحاولات لم يحالفها التوفيق ، كما رأينا قول من جنح الى أن الأحرف السبعة هي القراءات ، ويكاد يقارب هذا القول في الضعف رأى الذين حصروا هذه الأحرف في بعض اللهجات أو اللغات .

و هذه الآراء السابقة كلها - على ضعفها - لا نستغرب ذكر العلماء لها بين تلك المجموعات من الأقوال الشارحة للأحرف السبعة ، ولكننا لا نستغرب فحسب بل نستنكر استنكارا شديدا جنوح بعض العلماء الى مثل هذه المفهومات السقيمة ويرون في الأحرف السبعة ما لا يراه الناس و اذا لم يصح الانتصار على أحد تلك الآراء السابقة فقد بدا لنا استقصاء الممكن منها وهو لا يعارض النقل والعقل ، ربما كان أصوب الآراء وأبعدا عن الافراط والتفريط : فالمراد من هذه الأحرف السبعة والله أعلم - الأوجه السبعة التي وسع بها على الأمة ؛ فباى وجه قرأ القارئ منها فقد أصاب - ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصرح بهذا كل التصريح حين قال : « أقرأت جبريل على حرف ، فراجته فلم أزل استعيده حتى انتهى الى سبعة أحرف فاللفظ القرآني الواحد مهما تعدد أداؤه وتنوع قراءته لا يخرج التباير فيه عن الوجوه السبعة الآتية »

الأول : اختلاف الأسماء في افرادها وتثنيها وجمعها وتذكيرها وتانيها .

الثاني : اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر .

الثالث : اختلاف وجوه الاعراب .

الرابع : اختلاف بالنقص والزيادة .

الخامس : اختلاف في التقديم والتأخير .

السادس : اختلاف الابدال .

السابع : اختلاف اللهجات في الفتح والامالة والترقيق والتفخيم

والتحقيق والتسهيل والادغام والاظهار .

وقال ابن الجزرى : قد تبعت صحيح القراءات وشاذما وضعفها
ومنكرها فاذا هي يرجع اختلافها الى سبعة اوجه لا تخرج عنها ، وذلك
اما في الحركات بلا تغير في المعنى والصورة نحو البخل بضم الباء وسكون
الخاء ؛ والبخل بفتح الباء والخاء ، ويحسب بكسر السين وفتحها أو تغير في
المعنى فقط نحو « فلقى آدم من ربه كلمات ، فقد قرئ بنصب آدم ورفع
كلمات .

واما في الحروف بتغير المعنى دون الصورة نحو « تبلو ، فقد قرئ
« تلو ، بتامين ، أو تغير الصورة لا المعنى نحو « الصراط ، فقد قرئ بالسين
على الاصل . أو بتغيرهما نحو « فاسعوا ، فقد قرئ شاذما « فامضوا ، واما
في التقديم والتأخير نحو « فيقتلون ويقتلون ، فقد قرئ بتقديم الفعل المبنى
للجهول على الفعل المبنى للمعلوم أو في الزيادة والنقصان نحو « وصى ،
فقد قرئ بزيادة همزة بين الواووين وتخفيف الصاد ، فهذه سبعة لا يخرج
الاختلاف عنها .

قال : وأما نحو اختلاف الاظهار والادغام والروم والاشمام والتخفيف والتسهيل والنقل و الابدال فهذا ليس من الاختلاف الذى يتنوع فى اللفظ والمعنى ، لأن هذه الصفات المتنوعة فى أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا انتهى .

و الخلاصة : أن تنوع القراءات ، يقوم مقام تعدد الآيات . وذلك ضرب من ضروب البلاغة ، يبتدئ من جمال هذا الایجاز ، وينتهى الى كمال الایجاز أضف الى ذلك ما فى تنوع القراءات من البراهين الساطعة ، والأدلة القاطعة على أن القرآن كلام الله وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن هذه الاختلافات فى القراءة على كثرتها لا تؤدى الى تناقض فى المقرؤ وتضاد بل القرآن كله على تنوع قراءاته يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه بعضا ، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد فى علو الأسلوب والتعبير ، وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم . وذلك - من غير شك - يفيد تعدد الایجاز بتعدد القراءات والحروف .

قال ابن الجزرى :

كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه و وافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها ولا يحل انكارها ، بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ، ووجب على الناس قبولها سواء أكانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من

الأئمة المقبولين ، ومضى أختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة ، سواء أكانت عن السبعة أم عن من هو أكبر منهم ، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف صرح بذلك الداني ومكي والمهدوي وأبو شامة و هو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافاً .

قال أبو شامة : في المرشد الوجيز لا ينبغي أن يغير بكل قراءة تعزى الى أحد السبعة و يطلق عليها لفظ الصحة و أنها أنزلت هكذا ، الا اذا دخلت في ذلك الضابط ، و حيثئذ لا يتفرد بنقلها مصنف عن غيره ، و لا يختص ذلك بنقلها عنهم ، بل ان نقلت عن غيرهم من القراء فذلك لا يخرجها عن الصحة ، فان الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لا على من تنسب اليه ؛ فان القراءة المنسوبة الى كل قارىء من السبعة وغيرهم منقسمة الى المجمع عليه و الشاذ غير هؤلاء السبعة أشهرتهم و كثرة الصحيح المجمع في قراتهم تركن النفس الى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم .

وكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم ولم يعتبر انكارهم كخفض و الارحام و نصب « ليجزى قوماً » ، و الفصل بين المضافين في قراءة ابن عامر في قوله « و كذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم »

(١) سورة النساء رقم : ١

(٢) سورة الجاثية رقم : ١٤

(٣) سورة الانعام رقم : ١٣٧

وغير ذلك .

قال الداني :

وأئمة القراء : لا تعمل في شئ من حروف القرآن على الاشاء في اللغة ، والأقيس في العربية . بل على الأثبت في الأثر الأصح في النقل ، وإذا اثبتت الرواية لم يردما قياس عربية ولا فشو لغة ؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها . انتهى .

(تنبيهات)

الأول :

لا خلاف أن كل ما هو من القرآن يجب أن يكون متواترا .

الثاني :

قال الزركشي في البرهان : القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والاعجاز ، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما .

الثالث :

قال ابو شامة : ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي اريدت في الحديث ، وهو خلاف اجماع أهل العلم قاطبة وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل ، وقال : أبو العباس بن عمار . لقد نقل مسبع هذه

السبعة ما لا ينبغي له . و اشكل الأمر على العامة بابهامه كل من قل نظره
أن هذه القراءات هي المذكورة في الخبر ، وليته اذ اقتصر نقص عن السبعة
أو زاد ليزيل الشبهة . و وقع له أيضا في اقتصاره على كل امام على راويين
أنه صار من سمع قراءة راو ثالث غيرهما أبطها ؛ وقد تكون هي أشهر
وأصح وأظهر .

الرابع :

اختلاف القراءات يظهر اختلاف الأحكام ولهذا بنى الفقهاء نقض
وضوء الملبوس وعدمه على اختلاف القراءة في « لمستم ، بالقصر ، ولا مستم ،
بالمدة ، وجواز وطئ الحائض عند الانقطاع قبل الغسل وعدمه على
الاختلاف في « يطهرون و يطهرون ، .

الخامس :

من المهم معرفة توجيه القراءات ، وقد اعتنى به الأئمة و أفردوا فيه
كتبا منها الحجة لأبي علي الفارسي :

حكمة تعدد القراءات

١ - التخفيف والتيسير على هذه الأمة في قراءة القرآن : ففي الناس المرأة
والشيخ والانسان العادي ممن لا يقدرُونَ على النطق بغير لهجاتهم
وقد آس الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك ، فطلب من ربه المعافاة فاستجاب
له ، وخفف على أمته ، وأنزل القرآن على قراءات متعددة .

٢ - شرح الألفاظ : مثلا القراءة التي وردت الآية فيها كما يأتي : و تكون

الجال كالصوف المنفوش^١ ، أفادت في شرح كلمة [العهن] الواردة في

القراءة الأخرى المعروفة : [و تكون الجبال كالعهن المنفوش] .

٣ - بيان حكم من الأحكام : مثل قوله تعالى [و ان كان رجل يورث كلاله

أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منها السدس^٢] .

قرأ سعد بن أبي وقاص رضی الله عنه [وله أخ أو أخت من أم]

بزيادة لفظ **من** أم ، وكذلك قوله تعالى [فاعتزلوا النساء في الحيض

ولا تقربوهن حتى يطهرن^٣] .

قراءة [يطهرن] بالتشديد مبنية لمعنى قراءة التخفيف .

٤ - دفع توم ما ليس مرادا : مثل قوله تعالى [يا أيها الذين آمنوا اذا نودى

للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله^٤] قرئ [فامضوا الى ذكر

الله] فالقراءة الأولى توم وجوب السرعة في المشى الى صلاة الجمعة

ولكن القراءة الثانية رفعت هذا التوم .

٥ - تحدى القرآن جميع العرب ، فلو أتى بلغة دون لغة لقال الذين لم يأت

بلغتهم : لو أتى بلغتنا لآتيننا بمثله .

(١) سورة القارعة رقم : ٥

(٢) سورة النساء رقم : ١٢

(٣) سورة البقرة رقم : ٢٢٢

(٤) سورة الجمعة رقم : ٩

٦ - ان وجود القراءات حمل التحوين على توجيهها ، فاعنى هذا التوجيه العربية بعد قمرها .

قال الزركشى : [وقد اعنى بتوجيه القراءات الآئمة ، وأفردوا فيها كتابا . منها كتاب « الحجة » ، [لأبي على الفارس وكتاب « الكشف لمكي وكتاب ، المحتسب في توجيه الشواذ لابن جنى .

٧ - ومن فوائد تعدد القراءات اظهار سر الله في كتابه وصيائته له عن التبديل والاختلاف مع كونه على هذه الأوجه الكثيرة .
الملاحظات حول القراء السبعة

١ - ان هؤلاء القراء السبعة من أنصار العلم المعروفة التي انبثق منها علم النبوة كما يقول ابن تيمية - وهي : مكة والمدينة ، والكوفة والبصرة ، والشام ويلاحظ من معرفة هؤلاء القراء أن حظ الكوفة أكبر من غيرها من الأمصار اذ كان منها ثلاثة من سبعة وهم : عاصم وحزرة والكسائي .

٢ - ان هؤلاء القراء جميعا كانوا من رجال القرن الثاني الهجرى أدرك معظمهم القرن الأول ، وتلقوا عن الصحابة ، ولذلك فقد كان معظمهم من التابعين ، وأولهم وفاة هو ابن عامر توفى سنة ١١٨ وأخرم وفاة الكسائي توفى سنة ١٨٩

٣ - ان هؤلاء القراء من الموالى باستثناء قارئيه وهما أبو عمرو بن العلاء

وعبد الله بن عامر .

٤ - ان هؤلاء القراء جميعا كانوا من المعمرين الذين أتيح لهم أن يقرئوا الناس القرآن مدة طويلة ، وتخرج عليهم اجيال .

٥ - ان هؤلاء القراء كانوا جميعا من العلم والورع والاستقامة والخلق بالمكان الاسمي .

٦ - يلاحظ أن بعض القراء تلقى روايتهم القراءة عنهم مباشرة وبعضهم تلقى الرواة المذكورون القراءة عنهم بالواسطة .

ومذا والله أعلى وأعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

(علم المحكم والمتشابه)

نستطيع بحول الله تعالى أن نقول : ان القرآن كله محكم ، وذلك ان أردنا باحكامه اتقانه وجمال نظمه بحيث لا يتطرق اليه الضعف في ألفاظه ومعانيه ، وعلى هذا المعنى أنزل الله قوله الكريم : « كتاب أحكمت آياته » ، كما نستطيع أن نقول : ان القرآن كله متشابه ، وذلك ان أردنا بتشابهه تماثل آياته في البلاغة والاعجاز وصعوبة المفاضلة بين أجزائه ، وبهذا المعنى أنزل الله قوله الحكيم .

« الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثنى^١ » ، كما نستطيع أن نقول أيضا ان بعضه محكم وبعضه متشابه وفي ذلك يقول الله تعالى : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات من أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله و الراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر

(١) سورة هود عليه السلام رقم : ١

(٢) سورة الزمر رقم : ٢٣

الا أولو الالباب ، .

من الواضح في هذه الآية أن المحكم يقابل المتشابه ؛ كما أن الراضين في العلم يقابلون الذين في قلوبهم زيغ ، وقد حمل هذا التقابل العلماء على تعريف كل من المحكم والمتشابه فكثرت آراؤهم في هذا الموضوع وتعددت وجهات نظرهم ، ولكن آراهم ترجع في النهاية الى أن المحكم هو الذي يدل على معناه بوضوح لا لبس فيه والمتشابه هو الذي يخلو من الدلالة الراجعة على معناه ، وقد أورد السيوطي في « الاتقان » (تعريفات عديدة لها فيدخل في المحكم النص والظاهر أما النص فلانه اللفظ الذي وضع للمعنى الراجح المتبادر الى الذهن . ويدخل في المتشابه الجممل والمؤول والمشكل ، لأن الجممل يحتاج الى تفصيل والمؤول لا يدل على معنى الا بعد التأويل ، والمشكل خفي الدلالة فيه لبس وإبهام ووضوح الدلالة في المحكم يغنينا عن البحث عنه لانه قراءتنا له كافية لفهامنا المراد منه ، ولكن خفاء المتشابه جدير أن يشغلنا بعض الوقت لكي نعرفه ثم نتجنبه فلا نتبعه كالذين في قلوبهم زيغ .

أن أكثر العلماء يذهبون الى أن المتشابه لا يعلم تاويله الا الله ؛ ويوجبون في الآية الوقف على لفظ الجلالة ، أما الراضون في العلم فقد انتهى عليهم بتاويل القرآن الى أن قالوا : « آمننا به كل من عند ربنا ، .

لكن أبا الحسن الأشعري كان يرى أن الوقف في الآية على قوله

تعالى « والراستخون في العلم ، فهم على ذلك يعلمون تاويل المتشابه وقد أوضح هذا الرأي أبو إسحاق الشيرازي وانتصر له فقال « ليس شيء استأثر الله تعالى بعلمه ، بل وقف العلماء عليه لأن الله تعالى أورد هذا مدحا للعلماء : فلو كانوا لا يعرفون معناه لشاركوا العامة ، وتوسط الراغب الأصفهاني في قسم المتشابه من حيث امكان الوقوف على معناه الى ثلاثة أضرب :

ضرب لا سبيل الى الوقوف عليه ، كوقت الساعة وخروج الدابة ونحو ذلك .

وضرب للانسان أسباب الى معرفته كالألفاظ الغريبة والاحكام المغلفة .
 وضرب متردد بين الأمرين . يختص به بعض الراسخين في العلم ويخفى على من دونهم وهو المشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس :
 زد اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل ، وبما لا يدع مجالاً للشك - أن في رأى الراغب قصدا واعتدالا فذات الله وحقائق صفاته لا يعلمها الا هو ، وفي المعنى يقول في دعائه أنت كما أثبتت على نفسك ، لا أحصى ثناء عليك « والعلم بالغيب بما استأثر الله به ، مصداقا للآية الكريمة : ، ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير ، ،

(١) الراغب الأصفهاني هو الحسين بن المفضل ، ابو القاسم ، أديب كبير ، أم

كتبه (مفردات القرآن) توفى سنة ٥٠٢

(٢) سورة لقمان رقم : ٣٤

ولقد رأينا في بحث فواتح السور كيف أحيطت هذه الحروف بهو من التورع عن تاويل حقائقها وعرفنا أن أراء العلماء فيها إنما كانت تدور حول حكمة وجودها لا حول كنه حقيقتها ففي خفاء مثل هذه الأمور وعجز الانسان عن الوصول اليها ما يقلل من غروره ويخفض من كبريائه ، ويحمله على أن يقول : سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ١ .

و الآيات المشككة الواردة في صفات الله تعالى ، كقوله د الرحمن على العرش استوى ، هي من أمم ما يتعلق بهذا الضرب من المتشابه الذي لا سبيل لأحد من البشر الى الوقوف عليه وقد أفردما ابن اللبان بكتاب سماه د رد المتشابهات ، الى الآيات المحكمات ٢ .

وذكر الرازي الحكمة من متشابه الصفات فقال : د ان القرآن يشتمل على دعوة الخواص والعوام ، وطبائع العوام تنفر في أكثر الأمور عن ادراك الحقائق ، فمن سمع من العوام في أول الامر اثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار اليه ، ظن أن هذا عدم ونفى محض فيقع في التعطيل ، فكان الأنسب أن يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما يناسب ما تخيلوه وما توهموه ، ويكون ذلك مخلوطا بما يدل على الحق الصريح ، فالقسم الأول

(١) سورة البقرة رقم ٣٢

(٢) ابن اللبان هو محمد بن أحمد عبد المؤمن الأسعردى شمس الدين مفسر من

أهل دمشق توفي سنة ٧٤٩ له تفسير مخطوط .

وهو الذى يخاطبون به فى أول الأمر - من باب المتشابه ، والقسم الثانى
وهو الذى يكشف عن الحق الصريح هو المحكم ، .
وللعلماء فى متشابه الصفات مذهبان :

الأول : مذهب السلف ، وهو الايمان بهذه المتشابهات و تفويض
معرفةا الى الله تعالى . سئل الامام مالك عن الاستواء فقال « الاستواء
معلوم والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، واظنك رجل سوء ، أخرجوه
عنى ، » .

الثانى : مذهب الخلف ، وهو حمل اللفظ الذى يستحيل ظاهره على
معنى يليق بذات الله . وينسب هذا المذهب الى امام الحرمين^١ ، وجماعة
من المتأخرين .

وتوضيح المذميين نذكر بعض الآيات القرآنية الواردة فى متشابه
الصفات فمن ذلك « الرحمن على العرش استوى^٢ ، « وجاء ربك والملك
صفا صفا^٣ ، « و هو القاهر فوق عباده^٤ ، « يا حسرتا على ما فرطت فى

(١) امام الحرمين هو عبد الملك بن أبى عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينى
الشافعى العراقى . ابو المعالى كان شيخ الامام الغزالى و من أعلم أصحاب
الشافعى توفى سنة ٤٤٨ هـ .

(٢) سورة طه رقم : ٥

(٣) سورة الفجر رقم : ٢٢

(٤) سورة الانعام رقم : ٦١

جنب الله ، ، .

٢ - وقد أخرج الدارمي عن سليمان بن يسار أن رجلا يقال له ابن صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن ، فأرسل إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل ، « ويبقى وجه ربك » ، « و لتصنع على غنى » ، « يد الله فوق أيديهم » ، « ويحذركم الله نفسه » .

فالسلف يزعمون الله عن هذه الظواهر المستحيلة عليه ، و يؤمنون بها بالغيب كما ذكرها الله ، ويفوضون علم حقائقها إليه ، أما الخلف فيحملون الاستواء على العلو المعنوي بالتدبير من غير معاناة ، و يجيء الله على مجيء أمره ، و فوقيته المراد بها العلو من غير جهة . وقد قال فرعون - « و انا فوقهم قاهرون » .

و بما لا شك فيه أنه لم يرد العلو المكاني ، مكذا قال السيوطي

(١) سورة الزمر رقم : ٥٦

(٢) سورة الرحمن رقم : ٢٧

(٣) سورة طه رقم : ٣٩

(٤) سورة الفتح رقم : ١٠

(٥) سورة آل عمران رقم : ٢٨

(٦) وقد حكى ابن الجوزي عن القاضي أبي يعلى تأويل الأمر في قوله تعالى

« أو يأتي ربك » سورة الانعام آية رقم ١٥٨ قال : و هل هو الا أمره ؟

بدليل قوله « أو يأتي أمر ربك » سورة النحل آية رقم ٣٣

في « الاتقان » ، « وجبه » ، في طاعته وحقه لان التفريط انما يقع في ذلك ولا يقع في الجنب المهود ، ووجهه على ذاته ، وعينه « على عنايته ویده على قدرته ونفسه على عقوبته ، وهكذا يؤول الخلف - على هذا النوال - جميع ما ورد من رضى الله وجهه وغضبه وسخطه وحياته يحملها على أقرب مجاز ، ويقولون لا يراد من هذه الألفاظ الا لازمها .

وقد فهم ابن اللبان في كتابه « رد المتشابهات » الحكمة من ورود هذه الآيات فقال : « من المعلوم أن أعمال العباد لا بد فيها من توسط الجوارح مع أنها منسوبة اليه تعالى ، وبذلك يعلم أن لصفاته تعالى في تجلياتها مظهرين :

مظهر عبادى منسوب لعباده وهو الصور و الجوارح الجسدية ، ومظهر حقيقى منسوب اليه ؛ وقد أجرى عليه أسماء المظاهر العبادية المنسوبة لعباده على سبيل التقريب لافهامهم ، و التأنيس لقلوبهم ، ولقد نبه في كتابه على القسامين وأنه منزّه عن الجوارح في الحالين ، فنبه على الأول بقوله « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم » فهذا يفهم أن كل ما يظهر على أيدى العباد فهو منسوب اليه تعالى ، و نبه على الثاني بقوله فيما أخبر عنه نبيه صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم « ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحبته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، الخ . الحديث .

وقد حقق الله ذلك لنبيه بقوله « ان الذين يياعونك انما يياعون الله

وبقوله « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » .
وكأني بآبن اللبان هنا يستشعر - بذوقه الأدبي الرفيع - ما في الكتابة
عن الحقائق الدينية الكبرى من الحسن والجمال فهذا الأسلوب الرمزي ترسم
في الخيال الانساني صورة حسيّة عن الفكرة المجردة ، وتقرّب الى الناس
في جميع الاجيال أسمى الحقائق بواسطة الخيال .
ولعل اشتغال القرآن على المتشابه وعدم اقتضاره على المحكم وحده
أن يكون حافظاً للمؤمنين على الاشتغال بالعلوم الكثيرة التي تقدروهم على فهم
آيات المتشابهات فيتخلصون من ظلمة القيد : و يقرؤون القرآن متدبرين
خاشعين .

فوائد المتشابه

قد يرد سؤال هو : ما الحكمة في انزال المتشابه و وجوده ؟ والجواب
على ذلك أن فوائد المتشابه تختلف بالنسبة الى ما يمكن علمه و الى ما لا يمكن
علمه .

- أولاً : فوائد المتشابه الذي يمكن علمه عديدة نذكر منها أربعة هي :
- ١ - حث العلماء على النظر الموجب للعلم بغوامضه والبحث عن دقائقه .
 - ٢ - ظهور التفاضل وتفاوت الدرجات اذ لو كان القرآن كله محكما لا يحتاج
الى تاويل لاستوت منازل الخلق ولم يظهر فضل العالم على غيره .
 - ٣ - الحصول على الثواب الأكبر ؛ وذلك لأن المتشابه يوجب مزيد المشقة

في الوصول الى المراد ، و زيادة المشقة توجب مزيد الثواب .
٤ - تحصل العلوم الكثيرة ، و ذلك لان المتشابه يوجب فهمه التعمق في
معرفة النحو و المعاني وغيرها و الوقوف على أساليب العرب و العلوم
الاخرى .

ثانيا : فوائد المتشابه الذي لا يمكن عليه :

- ١ - ابتلاء العباد بالوقوف عنده ، و التوقف فيه ، و التفويض و التسليم
و التعبد بالاشتغال من جهة التلاوة كالمسوخ و ان لم يجز العمل بما فيه
- ٢ - اقامة الحجة على العرب البلغاء الانبياء لان القرآن نزل بلسانهم ولغتهم
ومع ذلك فقد عجزوا عن الوقوف على معناه .

(تنبيه)

هذا هو المحكم والمتشابه . ونود أن نشير الى ان هاتين الكلمتين
وردتا في القرآن بمان أخرى .

وذلك مثل قوله تعالى [كتاب أحكمت آياته] أى فى النظم والوصف .

و مثل قوله تعالى [كتبا متشابهة] أى يشبه بعضه بعضا و يصدق

بعضه بعضا ، انتهى بتصرف .

(١) سورة هود رقم : ١

(٢) سورة الزمر رقم : ٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

(العام والخاص)

العام : هو - لفظ يستغرق الصالح من غير حصر : والقرآن الذي نزل بلسان عربي مبين ؛ يعبر عن العام بالألفاظ التي وضعها العرب لإفادة الشمول والاستغراق . وقد دل الاستغراق على أن ألفاظ العموم سبعة لا تخرج عنها ، واليك بيانها مع التمثيل من واقع النصوص القرآنية :

أولا : لفظ كل ، وجميع ، وكافة ، وما في معناها نحو « كل من عليها فان » ، وهو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا^٢ ، « ادخلوا في السلم كافة »^٣ .

ثانيا : أسماء الموصول افرادا وثنية وجمعا ، وتذكيرا وتانيئا نحو « والذي قال لوالديه أف لكاء » فان المراد به كل من صدر منه القول بدليل قوله بعد « أولئك الذين حق عليهم القول » .

(١) سورة الرحمن رقم : ٢٦

(٢) سورة البقرة رقم : ٢٩

(٣) سورة البقرة رقم : ٢٠٨

(٤) سورة الأحقاف رقم : ١٧

- « والذان يأتيناها منكم فآذوهما » ، « الذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ،
 « واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم » ،
 ثالثا : المعرف بال تعريف الجنس مفردا كان نحو « والسارق والسارقة
 فاقطعوا أيديهما » ، « أو جمعا نحو « قد أفلح المؤمنون » ،
 رابعا : اجمع المعرف بالاضافة نحو « يوصيكم الله فى أولادكم » ، « خذ من
 أموالهم صدقة » ،
 خامسا : أسماء الشرط ، نحو « ومن يفعل ذلك يلق أثاما » ،
 سادسا : النكرة فى سياق النفي ؛ نحو « وان من شئ الا عندنا خزائنه » ،
 سابعا : النكرة فى سياق الشرط ، نحو « وان أحد من المشركين استجارك
 فأجره حتى يسمع كلام الله » .

-
- (١) سورة النساء رقم : ١٦
 (٢) سورة يونس رقم : ٢٦
 (٣) سورة النساء رقم : ١٥
 (٤) سورة المائدة رقم : ٣٨
 (٥) سورة المؤمنون رقم : ١
 (٦) سورة النساء رقم ١١
 (٧) سورة التوبة رقم ١٠٣
 (٨) سورة الفرقان رقم : ٦٨
 (٩) سورة الحجر رقم : ٢١

(أقسام العام)

يتقسم العام الى ثلاثة أقسام :

الأول :

العام الباقي على عمومه . قال القاضي جلال الدين البلقيني : ومثاله عزيز ، اذا ما من عام الا و يتخيل فيه التخصيص ، فقوله - « يا أيها الناس اتقوا ربكم ، قد يخص منه غير المكلف ، و حرمت عليكم الميتة خص منه حالة الاضطرار ومنه السمك والجراد ، و حرم الربا خص منه العرايا . و ذكر الزركشى في البرهان انه كثير في القرآن و أورد منه - « و الله بكل شئ عليم ، ان الله لا يظلم الناس شيئا : « و لا يظلم ربك أحدا ، الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ، الله الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ، الله الذي جعل لكم الأرض قرارا ، .

و حاول السيوطي أن يستنبط من القرآن مثلا على ذلك فوجده في الآية « حرمت عليكم أمهاتكم » ، فانه لا خصوص فيها و العموم مقصود في جميع المحارم المذكور في الآية ، ولم يكن الأمر محوجا الى هذا الجهد وذلك العنا فالعام الباقي على عمومه موجود في القرآن بكثرة كما وضع لنا من الأمثلة المذكور آنفا ، ولكنه قليل بالنسبة الى العام المراد به الخصوص .

= (١٠) سورة التوبة رقم : ٦

(١) سورة النساء رقم : ٢٢

الثاني : العام المراد به الخصوص :

وهو - ما يكون فيه الانتقال من العموم لغرض بلاغى يزيد التعبير جمالا ، والفكرة وضوحا كقوله تعالى « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » فالقصد بالناس هنا انسان واحد وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولكنه جمع ولم يفرد لجمعه ما في الناس من الخصال الحميدة ولأنه المثل الأعلى للإنسانية . وقوله « ثم افيضوا من حيث أفاض الناس » ، أخرج ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس في قوله - من حيث أفاض الناس - قال ابراهيم : قال في المحتسب يعنى آدم لقوله - فنى ولم نجد له عزما - وقوله تعالى - فتادته الملائكة^٢ أى جبريل الى غير ذلك من الأمثلة .

الثالث :

العام المخصوص وأمثله في القرآن كثيرة جدا وهى أكثر من المنسوخ ومن أمثله « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » ، وقوله « ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله » .

(١) سورة النساء رقم : ٥٣

(٢) سورة البقرة رقم : ١٩٩

(٣) سورة آل عمران رقم : ٣٩

(٤) سورة آل عمران رقم : ٩٧

(٥) سورة التوبة رقم : ١٢٠

الفرق بين العام المراد به الخصوص ؛ والعام المخصوص
وذكر العلماء بينهما فروقا خمسة :

أحدهما :

أن الأول لم يرد شموله لجميع الأفراد ، لا من جهة تناول اللفظ
ولا من جهة الحكم بل هو ذو أفراد استعمل في فرد منها . والثاني أريد
عمومه وشموله لجميع الأفراد من جهة تناول اللفظ لها لا من جهة الحكم .

ثانيها :

أن الأول مجاز قطعا لنقل اللفظ عن موضعه الأصلي بخلاف الثاني
فان فيه مذاهب : أصلها أنه حقيقة .

ثالثها :

أن قرينة الأول عقلية ، والثاني لفظية .

رابعها :

أن قرينة الأول لا تنفك عنه بحال من الأحوال ، وقرينة الثاني
قد تنفك عنه .

خامسها :

أن الأول يصح أن يراد به واحد اتفاقا ، وفي الثاني خلاف .

(أقسام المخصص)

يتقسم المخصص بالنسبة للمخصص له الى متصل ومنفصل فالمتصل

خمس أنواع واليك بيانها مع التمثيل من واقع النصوص القرآنية :

١ - الاستثناء نحو - « و الذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا » .

٢ - الوصف نحو - « وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن » .

٣ - الشرط نحو - « و الذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا » .

٤ - الغاية نحو - « ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله » .

٥ - بدل البعض نحو - « والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » ،
و المنفصل :

هو ما كان في آية أخرى في محل آخر ، أو حديث أو اجماع أو قياس
فن أمثلة ما خص بالقرآن قوله تعالى « و المطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة

(١) سورة النور رقم : ٤

(٢) سورة النساء رقم : ٢٣

(٣) سورة النور رقم : ٣٣

(٤) سورة البقرة رقم : ١٩٦

(٥) سورة آل عمران رقم : ٩٧

قروء^١ ، خص بقوله « اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن
فما لكم عليهن من عدة^٢ ، ومن أمثلة ما خص بالحديث قوله تعالى - ز . .
« وأحل الله البيع^٣ ، خص منه البيوع الفاسدة وهي كثيرة بالسنة ، و حرم
الربا - خص منه العرايا بالسنة .

ومن أمثلة ما خص بالاجماع آية المواريث خص منها الرقيق فلا يرث
بالاجماع ذكره مكى ، ومن أمثلة ما خص بالقياس آية الزنا - « فاجلدوا
كل واحد منهما مائة جلدة^٤ ، خص منها العبد بالقياس على الأمة المنصوصة
في قوله - « فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ، المخصص لعموم
الآية ، ذكره مكى ايضا .

(فصل)

من خاص بالقرآن ما كان مخصصا لعموم السنة وهو عزيز ومن أمثلته
قوله تعالى « حتى يعطوا الجزية^٥ ، خص عموم قوله صلى الله عليه وسلم
« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، وقوله « ومن أصوافها

(١) سورة البقرة رقم : ٢٢٨

(٢) سورة الأحزاب رقم : ٤٩

(٣) سورة البقرة رقم : ٢٧٥

(٤) سورة النور رقم : ٢

(٥) سورة التوبة رقم : ٢٩

مورد الظمان في علوم القرآن

و أوبارها ، خص عموم قوله صلى الله عليه وسلم ، وما أبين من حتى فهو ميت ، .

وقوله تعالى ز ، و العاملين عليها و المؤلفة قلوبهم^٢ ، خص عموم قوله عليه السلام ، لا تحل الصدقة لغني و لا لذي مرة سوى ، و قوله تعالى ، فقاتلوا التي تبغى^٣ ، خص عموم قوله عليه الصلاة و السلام ، اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل و المقتول في النار ، .

تفريع

الاول :

اذا سبق العام للذم أو الذم فهل هو باق على عمومته ؟ فيه مذاهب أحدها : أنه باق على عمومته ، اذ لا صارف عنه و لا تناق بين العموم و بين المدح أو الذم .

والثاني :

أنه ليس باق على عمومته لأنه لم يسبق للتحميم بل للذم أو الذم .

و الثالث :

وهو الأصح . التفصيل فيعم ان لم يعارضه عام اخر لم يسبق لذلك

(١) سورة النحل رقم : ٨٠

(٢) سورة التوبة رقم : ٦٠

(٣) سورة الحجرات رقم : ٩

ولا يعم ان عارضه ذلك جمعا بينهما مثاله ولا معارض قوله تعالى « ان الأبرار
لني نعيم و ان الفجار لني جحيم » ، ومع المعارض قوله تعالى « و الذين هم
لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم » ، فانه سبق للذم ،
وظاهره يعم الاختين بملك اليمين جمعا ؛ و عارضه في ذلك « و أن تجمعوا
بين الاختين » ، فانه شامل لجمعها بملك اليمين و لم يسبق للذم فحمل الأول
على غير ذلك بان لم يرد تناوله له . ومثاله في الذم « و الذين يكنزون الذهب
والفضة » ، فانه سبق للذم وظاهره يعم الحلى المباح ؛ و عارضه في ذلك حديث
جابر « ليس في الحلى زكاة ، و حمل الأول على غير ذلك .

الثاني :

اختلف في الخطاب الخاص به صلى الله عليه وسلم نحو « يا أيها النبي »
« يا أيها الرسول » ، هل يشمل الأمة ؟ فقول يشملها لأن أمر القدوة أمر
لاتباعه معه عرفا ، والاصح في الأصول المنع لاختصاص الصيغة .
والثالث :

اختلف في الخطاب يا أيها الناس ، هل يشمل الرسول صلى الله عليه

(١) سورة الانقطار رقم : ١٣ - ١٤

(٢) سورة المؤمنون رقم : ٥ - ٦

(٣) سورة النساء رقم : ٢٣

(٤) سورة التوبة رقم : ٣٤

على مذاهب أصحابها وعليه الأكثرون أنه يشمله لعموم الصيغة له . أخرج ابن أبي حاتم عن الزمري قال : إذا قال الله يا أيها الذين آمنوا افعلوا . فالنبي صلى الله عليه وسلم منهم ، والثاني لا لأنه ورد في لسانه لتبليغ غيره ولما له من الخصائص ، والثالث ان اقترن بقل لم يشمله لظهوره في التبليغ وذلك قرينة عدم شموله والا فيشمه ، الرابع : الاصح في الأصول أن الخطاب يا أيها الناس يشمل الكافر والعبد لعموم اللفظ ، وقيل لا يعم الكافر بناء على عدم تكليفه بالفروع ، ولا العبد لصف منافعه الى سيده شرعا ، الخامس : اختلف في الخطاب يا اهل الكتاب هل يشمل المؤمنين ؟ فالأصح أنه لا يشملهم لأن اللفظ قاصر على من ذكر ، واختلف في الخطاب يا أيها الذين آمنوا هل يشمل اهل الكتاب ؟ فقيل لا - بناء على أنهم غير مخاطبين بالفروع وقيل يشملهم واختاره ابن السمعاني قال : وقوله يا أيها الذين آمنوا خطاب تشریف لا تخصيص .

اتهى بتصرف

بسم الله الرحمن الرحيم

(علم الناسخ و المنسوخ)

النسخ لغة : يأتي على معان عديدة .

[١] يأتي بمعنى الازالة ومنه قوله تعالى « فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم

يحكم الله آياته » ، ومنه نسخت الشمس الظل ، و نسخ الشيب الشباب

[٢] و يأتي بمعنى التبديل كقوله « واذا بدلنا آية مكان آية ٢ » .

[٣] و بمعنى التحويل - كتناسخ المواريث ، لأن تناسخ المواريث ، هو تحويل

الميراث من واحد الى واحد .

[٤] و يأتي بمعنى النقل من موضع الى موضع ، ومنه « نسخت الكتاب » ، اذا

نقلت ما فيه حاكيا للفظه و خطه . قال مكي : و هذا الوجه لا يصح

أن يكون في القرآن ، و أنكسر على النحاس اجازته . ذلك ، محتجا بان

الناسخ فيه لا يأتي بلفظ المنسوخ ، و انما يأتي بلفظ آخر . و قال الامام

أبو عبد الله محمد بن بركات السعدي : يشهد لما قاله النحاس قوله تعالى

(١) سورة الحج رقم : ٥٢

(٢) سورة النحل رقم : ١٠١

« انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون^١ » ، وقال : [وانه في أم الكتاب لدينا
لعلى حكيم^٢] ، ومعلوم أن ما نزل من الوحي نجوما جميعه في أم
الكتاب و هو اللوح المحفوظ كما قال : [في كتاب مكنون . لا يمسه
الا المطهرون^٣] .

النسخ اصطلاحا : « رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى » ، وهذا أدق
تحديد اصطلاحى لهذه اللفظة يتناسق في آن واحد مع لسان العرب الذى
يرى النسخ ازالة ورفعا أفرد بالتصنيف خلق لا يحصون عددا منهم أبو عبيد
القاسم بن سلام و أبو داود السجستاني و أبو جعفر النحاس و ابن الأبارى
وغيرهم . و من ظريف ما حكى في كتاب مبه الله أنه قال في قوله تعالى :
« ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيا وأسيرا » ، منسوخ من هذه الجملة
[وأسيرا] والمراد بذلك أسير المشركين قهرى الكتاب عليه وابنته تسمع ، فلما
اتهى الى هذا الموضوع قالت : أخطأت يا أبت في هذا الكتاب . فقال لها
وكيف يا بنية ؟ قالت : أجمع المسلمون على أن الأسير يطعم ولا يقتل جوعا
قال الأئمة : لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله الا بعدد أن يعرف منه

(١) سورة الجاثية رقم : ٢٩

(٢) سورة الزخرف رقم : ٤

(٣) سورة الواقعة رقم : ٧٨ - ٧٩

(٤) سورة الانسان رقم : ٨

الناسخ و المنسوخ ، وقد قال علي بن أبي طالب لقااص : أتعرف الناسخ و المنسوخ ؟ قال الله أعلم ، قال ملكك وأملكك . ، والنسخ بما خص الله به هذه الأمة لحكم منها التيسير ، وقد أجمع المسلمون على جوازه و وقوعه سمعا وعقلا و أنكروه اليهود ظنا منهم أنه بداء كالذي يرى الرأي ثم يسدو ، و هو باطل لأنه يبان مدة الحكم كالأحياء بعد الاماتة وعكسه ، والمرض بعد الصحة وعكسه والفقر بعد الغنى وعكسه ، وذلك لا يكون بداء فكذا الأمر والنهى . واختلف العلماء فقيل : لا ينسخ القرآن الا بقرآن كقوله تعالى ز . ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ، قالوا : ولا يكون مثل القرآن وخيرا منه الا قرآن . وقيل بل ينسخ القرآن بالسنة لأنها أيضا من عند الله قال تعالى « وما ينطق عن الهوى ، وجعل منه آية الوصية الآتية ، وقيل ان السنة اذا كانت بأمر الله من طريق الوحي نسخت ؛ و ان كانت باجتهاد فلا تنسخه حكاة ابن حبيب النيسابورى في تفسيره . وقال الشافعى حيث وقع نسخ القرآن بالسنة فنها قرآن عاضد لها ، وحيث وقع نسخ السنة بالقرآن فعمه سنة عاضدة له ليتبين توافق القرآن والسنة ؛ الجمهور على أنه لا يقع النسخ الا فى الأمر والنهى ولو بلفظ الخبر ، أما الخبر الذى ليس بمعنى الطلب فلا يدخله النسخ و منه الوعد و الوعيد ، وقيل بل احدهما تنسخ الأخرى ثم اختلفوا فقيل : الآيتان اذا أوجبتا حكيمين مختلفين وكانت احدهما متقدمة على الأخرى ، فالمتأخرة ناسخة للاولى كقوله تعالى « ان ترك خيرا الوصية

لوالدين والأقربين^١ ، ثم قال بعد ذلك [ولأبويه لكل واحد منهما السدس^٢] وقال تعالى [فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث^٣ ، قالوا فهذه ناسخة للاولى ، ولا يجوز أن يكون لها الوصية والميراث .

وقيل : بل ذلك جائز ، وليس فيها ناسخ ولا منسوخ ، وإنما نسخ الوصية للوارث بقوله عليه الصلاة والسلام : « لا وصية لوارث ، وقيل ما نزل بالمدينة ناسخ لما نزل بمكة .

ويجوز نسخ الناسخ فيصير الناسخ منسوخا ، وذلك كقوله : [لکم دینکم ولی دین^٤] نسخها بقوله تعالى : [فاقتلوا المشركين^٥] ثم نسخ هذه أيضا بقوله : [حتى يعطوا الجزية عن يده^٦] وقوله تعالى : [فاعضوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره^٧] ، وناسخة قوله تعالى : [فاقتلوا المشركين^٨] ؛ ثم نسخها : [حتى يعطوا الجزية^٩] .

(تنبيه ٤)

قال ابن الحصار : إنما يرجع في النسخ الى نقل صريح عن رسول الله

(١) سورة البقرة رقم : ١٨٠

(٢) سورة النساء رقم : ١١

(٣) سورة الكافرون رقم : ٦

(٤) سورة التوبة رقم : ٥

(٥) سورة التوبة رقم : ٢٩

(٦) سورة البقرة رقم : ١٠٩

صلى الله عليه وسلم أو عن صحابي يقول آية كذا نسخت كذا . قال :
وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به مع علم التاريخ ليعرف المتقدم
من المتأخر . قال : ولا يعتمد في النسخ قول عوام المفسرين ؛ بل ولا اجتهاد
المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بينة ؛ لأن النسخ يتضمن رفع
حكم أو إثبات حكم تقرر في عهده صلى الله عليه وسلم ، والمعتمد فيه النقل
والتاريخ دون الرأي والاجتهاد قال : والناس في هذا بين طرفي تقيض فمن
قائل لا يقبل في النسخ أخبار الآحاد العدول ، ومن متساهل يكتفي فيه بقول
مفسر أو مجتهد ، والصواب خلاف قولهما . انتهى .

تنبهات

التنبه الأول :

[في تقسيم سورة القرآن بحسب ما دخله من النسخ وما لم يدخله]
اعلم أن سورة القرآن الكريم [تنقسم] بحسب ما دخله النسخ
وما لم يدخله الى أقسام :

أحدها ما ليس فيه ناسخ ولا منسوخ ، وهي ثلاث وأربعون
سورة فقط وهذه السور تنقسم الى ما ليس فيه أمر ولا نهى والى ما فيه
نهى لا أمر .

والثاني :

ما فيه ناسخ وليس فيه منسوخ ، وهي ست سور .

الثالث :

ما فيه منسوخ وليس فيه ناسخ ، وهو أربعون سورة .

الرابع :

ما اجتمع فيه الناسخ و المنسوخ ، وهي احدى و ثلاثون سورة .
ومن غريب هذا النوع آية أولها منسوخ وآخرها ناسخ ، قيل ولا نظير لها
في القرآن ، وهي قوله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم
من ضل اذا امتدديتم] ، يعنى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فهذا
ناسخ لقوله : [عليكم أنفسكم] ذكره ابن العربي في أحكامه .

ولا يعنينا ابدأ ان نسرده أسماء السور في هذه الاقسام فان سردما
نفسها قائم على اساس فاسد من الغلو والتعسف ، وحسبك أن السور
المحكمت الخاليات من النسخ لم تزد - في هذا التقسيم - على ثلاث و أربعين
سورة كأن القاعدة هي النسخ لا الاحكام ، وكان الاصل في سور القرآن
أن يكون فيها ناسخ أو منسوخ .

والحق أن الاصل في آيات القرآن كلها الاحكام لا النسخ الا
أن يقوم دليل صريح على النسخ فلا مفر من الاخذ به و ما زال العلماء
المحققون بالآيات التي قيل انها منسوخة يبحثونها من وجوها المختلفة حتى
حصروا ما تصلح منها لدعوى النسخ في عدد قليل ؛ وتعقب آخرون هذا

(١) سورة المائدة رقم : ١٠٥

القليل نفسه فأثروا في طائفة منه القول بالاحكام على القول بالنسخ : فالسيوطي مثلا حصر دعوى النسخ في احدى وعشرين آية على خلاف في بعضها ثم استثنى آية الاستئذان^٢ والقسمة فذكر أن الأصح فيها أنها محكمتان فصارت الآيات المنسوخة في نظره لا تزيد على تسع عشرة آية ، ولولا خشية الاستطراد لتعاقبنا ما فوجدنا الصالح منها للنسخ لا يزيد على عشر فقط يد أنا فضل أن نحيل الطالب على ما ذكره السيوطي لعله يكتشف من تلقاء نفسه - في ضوء ما ذكرنا عن النسخ - ما عسى أن يكون أقرب الى التخصيص أو تأخير اليان أو الانساء ، وما عسى أن يدخل حقا فيما نسخه الله من آيات فاتى باحسن منها أو مثلها وهو على كل شيء قدير .

التنبيه الثاني

[في القسم الثاني في ضروب النسخ في القرآن]

النسخ في القرآن على ثلاثة أضرب :

- (١) راجع الاتقان ٣٧/٢ - ٣٨ و قد ذكر السيوطي هنا جميع هذه الآيات الصالحة للقول بالنسخ .
 - (٢) يراد بآية الاستئذان قوله تعالى « ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم و الذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ، و هي آية لا ريب في احكامها .
- أما آية القسمة فهو قوله تعالى (و اذا حضر القسمة أولو القربى و اليتامى و المساكين فارزقوهم منه و قولوا لهم قولا معروفا) فقد قيل انها منسوخة بآية المواريث . و الصحيح أنها ليست منسوخة .

الأول :

ما نسخ تلاوته وبقي حكمه فيعمل به إذا تلقته الأمة بالقبول ، كما روى أنه يقال في سورة النور ، الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله ، ولهذا قال عمر : لولا أن يقول الناس : زاد عمر في كتاب الله لكتبها يدي . رواه البخارى في صحيحه معلقا .

الضرب الثاني :

ما نسخ حكمه وبقي تلاوته ، وهو في ثلاث وستين سورة ، كقوله تعالى : [والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا] فكانت المرأة إذا مات زوجها لزمتم التبرص بعد انقضاء العدة حولا كاملا ؛ ونفقتها في مال الزوج ، ولا ميراث لها ؛ وهذا معنى قوله تعالى : [متاعا الى الحول غير اخراج]^٢ فنسخ الله ذلك بقوله : [يتبرصن بانفسهن أربعة أشهر وعشرا] وهذا النسخ مقدم في النظم على المنسوخ .

قال القاضى أبو المعالى : وليس في القرآن ناسخ تقدم على المنسوخ الا في موضعين ؛ هذا أحدهما ، والثانى قوله : [يا أيها النبي انا أحللتنا لك أزواجك]^٣ ، فانها ناسخة لقوله تعالى : [لا تحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل

(١) سورة البقرة رقم : ٢٣٤

(٢) سورة البقرة رقم : ٢٤٠

(٣) سورة الاحزاب رقم : ٥٠

بهن من أزواج] .

الثالث :

نسخها جميعا ، فلا تجوز قراته ولا العمل به ، كآية التحريم بعشر رضعات فنسخن بخمس ، قالت عائشة : كان بما أنزل عشر رضعات معلومات ، فنسخن بخمس معلومات فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى بما يقرأ من القرآن . رواه مسلم .

وقد تكلموا فى قولها : « وهى بما يقرأ ، فان ظاهره بقاء التلاوة وليس كذلك فمنهم من اجاب بأن المراد قارب الوفاة ، والظاهر أن التلاوة نسخت أيضا ولم يبلغ ذلك كل الناس الا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتوفى وبعض الناس يقرؤها .

وقال أبو موسى الأشعري : نزلت ثم رفعت .

(التنبيه الثالث)

« فى تقسيم القرآن على ضروب من وجه آخر ،

قسم بعضهم النسخ من وجه آخر الى ثلاثة أضرب :

الأول :

نسخ المأمور به قبل امثاله ، وهذا الضرب هو النسخ على الحقيقة ، كما روى الخليل بن يحيى ، وكقوله تعالى : [اذا ناجيتهم الرسول فقدموا

(١) سورة الاحزاب رقم : ٥٢

بين يدي نجواكم صدقة ١] ثم نسخه سبحانه بقوله تعالى : [أشفقتم ١... الآية] الثاني :

و يسمى نسخا تجوزا ؛ وهو ما أوجبه الله على من قبلنا حكم القصاص [يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الآية ٢] .

ولذلك قال عقب تشريع الدية : [ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ٢] وكذلك ما أمرنا الله به أمرا اجماليا ثم نسخه كنسخه التوجه الى بيت الله المقدس بالكعبة ؛ فان ذلك كان واجبا علينا من قضية أمره باتباع الأنبياء قبله ، وكنسخ صوم يوم عاشوراء برمضان .

الثالث :

ما أمر به لسبب ثم يزول السبب ، كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر والمغفرة للذين يرجون لقاء الله ونحو من عدم ايجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ونحوها ؛ ثم نسخه ايجاب ذلك وهذا ليس بنسخ في الحقيقة وإنما هو نسو كما قال تعالى : [أونسها ١] .

فالنسأ هو الأمر بالقتال ، الى أن يقوى المسلمون ، وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى .

(١) سورة المجادلة رقم : ١٢ - ١٣

(٢) سورة البقرة رقم : ١٧٨

(٣) سورة البقرة رقم : ٧٨

(٤) سورة البقرة رقم : ١٠٦

ومن هذا قوله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم] كان ذلك في ابتداء الأمر ، فلما قوى الحال وجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمقاتلة عليه ثم لو فرض وقوع الضعف كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، عاد الحكم ، وقال صلى الله عليه وسلم : « فإذا رأيت هوى متبعا وشحا مطاعا وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك . »

و هو سبحانه و تعالى حكيم أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حين ضعفه ما يليق بتلك الحال رافة بمن تبعه ورحمة ، إذ لو وجب لأورث حرجا ومشقة فلما أعز الله الإسلام وأظهره ونصره ، أنزل عليه من الخطاب ما يكافي تلك الحالة من مطالبة الكفار بالإسلام أو بقاء الدية ان كانوا أهل كتاب - أو الإسلام أو القتل ان لم يكونوا أهل كتاب .

ويعود هذان الحكمان - أعنى المسألة عند الضعف والمسايقة عند القوة - يعود سببها ، وليس حكم المسايقة ناسخا لحكم المسألة بل كل منهما يجب امتثاله في وقته . انتهى بتصرف .

حكمة النسخ وفوائده

- ١ - مراعاة مصالح العباد .
- ٢ - تطور التشريع إلى مرتبة الكمال حسب تطور الدعوة وتطور حال الناس .
- ٣ - ابتلاء المكلف واختباره بالامتثال وعدمه .
- ٤ - إرادة الخير للامة والتيسير عليها ؛ لأن النسخ إن كان إلى أشق فقيه
زيادة الثواب ؛ وإن كان إلى أخف فقيه سهولة ويسر .

فوائد معرفة المكى والمدنى

- ١ - معرفة النسخ والمنسوخ على وجه يحدد الحكم الباقى الواجب اتباعه .
- ٢ - معرفة طريقة القرآن التى صلكتها فى نشئة الأمة الاسلامىة وتربيتها والخطوات التى خطاها فى اقامة الدولة الاسلامىة حتى يكون فى ذلك عبرة لدعاة الاصلاح . وقادة الفكر الاسلامى الذين يتطلعون الى استئناف الحياة الاسلامىة من جديد .
- ٣ - التعرف على مدى الخدمة الفائقة والهناءىة البالغة التى حظى بها القرآن الكرىم من المسلمين من عهد الصحابة حتى يومنا هذا .
- ٤ - أخيرا فاننا نستفيد من معرفتنا للمكى والمدنى من القرآن فى فهم الآىة وتفسيرها على وجه أفضل وأكمل ، ولا سيما ان وقفنا مع ذلك على أسباب النزول .

هذا والله أعلى وأعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

(المطلق و المقيد)

المطلق الدال على الماهية بلا قيد ، وهو مع القيد كالعام مع الخاص .
قال العلماء : متى وجد دليل على تقييد المطلق صير اليه والا فلا ، بل يبقى المطلق
على اطلاقه والمقيد على تقييده ، لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب . والضابط
ان الله تعالى اذا حكم فى شىء بصفة أو شرط ثم ورد حكم آخر مطلقا نظر :
فان لم يكن له أصل يرد اليه الا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به ، وان كان
له أصل يرد غيره لم يكن رده الى أحدهما باولى من الآخر .

فالاول مثل اشتراط الله العدالة فى الشهود على الرجعة والفراق
والوصية فى قوله تعالى [واشهدوا ذوى عدل منكم] - وقوله - شهادة بينكم
اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم .

وقد اطلق الشهادة فى البيوع وغيرها فى قوله - وأشهدوا اذا تبايعتم
فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم - و العدالة شرط فى الجميع و منه
تقييد ميراث الزوجين بقوله تعالى : [من بعد وصية يوصين بها أو دين] [

(١) سورة النساء رقم : ١٢

واطلاقه الميراث فيها أطلق فيه ، وكذلك ما أطلق من الموارث كلها بعد الوصية والدين وكذلك ما اشترط في كفارة القتل من الرقبة المؤمنة ، واطلاقها في كفارة الظهار واليمين ، والمطلق كالقيد في وصف الرقبة . وكذلك تقييد الأيدي الى المرافق في الوضوء ، واطلاقه في التيمم .

وكذلك : [و من يكفر بالإيمان فقد حبط عمله^١] فاطلق الاحباط عليه وعلقه بنفس الردة ، ولم يشترط الموافاة عليه . وقال في الآية الأخرى . [و من يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم^٢] وقيدت الردة بالموت عليها والموافاة على الكفر ، فوجب رد الآية المطلقة اليها والا يقضى باحباط الأعمال الا بشرط الموافاة عليها وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه ، و تقييد تحريم الدم بالمسفوح في الأنعام واطلاقه فيما عداها فذهب الشافعي حمل المطلق على المقيد في الجميع و من العلماء من لا يحمله ، ويجوز اعتاق الكافر في كفارة الظهار واليمين ويكتفى في التيمم بالمسح الى الكوعين ، ويقول : ان الردة تحبط العمل بمجردهما .

و الثاني مثل تقييد الصوم بالتتابع في كفارة القتل والظهار ، و تقييده بالتفريق في صوم التمتع ، و اطلاق كفارة اليمين وقضاء رمضان ، فيبقى على اطلاقه من جوازه مفرقا ومتابعا لا يمكن حمله عليهما لتنافي القيدين ، وهما التفريق والتتابع ، و على أحدهما لعدم المرجح .

(١) سورة المائدة رقم : ٥

(٢) سورة البقرة رقم : ٢١٧

(تنبيهات)

الأول :

إذا قلنا : يحمل المطلق على المقيد هل هو من وضع اللغة أو بالقياس ؟
مذهبان . وجه الأول أن العرب من مذهبها استحباب الاطلاق إكثفاً بالمقيد
و طلباً للاختصار .

الثاني :

ما تقدم محله إذا كان الحكمان بمعنى واحد . وإنما اختلفا في الاطلاق
و التقييد ، فاما إذا حكم في شيء بأمور ثم في آخر بعضها وسكت فيه عن
بعضها فلا يقتضى اللاحق كالامر بغسل الأعضاء الأربعة في الوضوء و ذكر
في التيمم عضوين ، فلا يقال بالحمل ومسح الرأس و الرجلين بالتراب فيه
أيضاً ، وكذلك ذكر العتق و الصوم و الاطعام في كفارة الظهار ، و اقتصر
في كفارة القتل على الأولين و لم يذكر الاطعام فلا يقال بالحمل و ابدال الصيام
بالطعام .

اتمى بتصرف .

بسم الله الرحمن الرحيم

(المنطوق والمفهوم)

و القرآن يفسر بعضه بعضا ، وهذا أحسن طرق التفسير واليه ذهب اللوركنشى فى البرهان .

يردد المفسرون هذه العبارة كلما وجدوا أنفسهم أمام آية قرآنية تزداد دلالتها وضوحا بمقارنتها بآية أخرى . وان لهم أن ينجوا فى تاويل القرآن هذا المنهج ، لأن دلالة القرآن تمتاز بالدقة والاحاطة والشمول ، فقلنا نجد فيه عاما أو مطلقا أو مجملا ينبغى أن يخصص أو يقيد أو يفضل الا انتم له فى موضع آخر ما ينبغى له من تخصيص أو تقييد أو تفصيل .

ولقد كانت هذه الدلالة الشاملة جذيرة أن توحى الى العلماء وضع اصطلاحات خاصة يرمز بكل منها الى السمة البارزة فى كل فكرة يدعو اليها القرآن ، وفى كل مشهد يصوره ، ومن هنا نشأ فى الدراسات الاسلامية ، ما يسمى بمنطوق القرآن ومفهومه ، وعامه وخاصه ؛ ومطلقه ومقيد ، وبجمله ومفصله ؛ وقد عرفت هذه المصطلحات وامثالها واستعرضت الشواهد الكثيرة الدالة عليها ، وتباينت مناهج العلماء فى دراستها فمنهم من يبحثها على أساس

تشريعي وهم الاصوليون ؛ ومنهم من يبحثها على أساس منطقي وهم المتكلمون ، وآخرون - يؤثرون أن ينظروا الى هذه المصطلحات من خلال الزاوية اللغوية والأدبية ، ليتبعوا بلذة وشغف طريقة القرآن في الأداء والتعبير .

و أول ما ينبغي معرفته من هذه المصطلحات منطوق القرآن ومفهومه لأنها يفصلان أنواع الدلالة القرآنية المستفادة من اللفظ والمستنبطة من المعنى فيشملان النص والظاهر والمؤول ، وغوى الخطاب ولحنه و معاني الوصف والشرط والحصر وسنوضح بمشيئة الله تعالى هذه المسألة « بنماذج ، مختلفة نجتمعها بما تفرق في كتاب الله الحكيم .

المنطوق :

هو - ما دل عليه اللفظ في محل النطق وكانهم لاحظوا في تعريفه أن التلغظ بالآية هو وحده منفذنا الى دلالتها وذلك واضح جدا في « النص ، الذي لا يحمل اللفظ غيره كدلالة قوله تعالى « فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ، .

فلا يمكن أن يتحمل اللفظ غير كمال الأيام العشرة التي صرحت بها الآية ونصت عليها . وحتى ما يسمى « بالظاهر ، الذي يفيد المعنى متبادرا مع احتمال غيره احتمالا مرجوحا ؛ وهو نوع من المنطوق ، لأن دلالاته على معناه المتبادر الراجح إنما تتم في محل النطق نفسه ، لأن الراجح من

اللفظ المنطوق يقدم على مرجوحه ، بوضوح ذلك قوله تعالى : فن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ، فالباغى يطلق على معنيين أحدهما مرجوح وهو الجامل والثاني راجح وهو الظالم ، لأنه هو الظاهر المتبادر من سياق الآية واستعماله في هذا المعنى أظهر وأغلب ، كقوله تعالى : ثم بنى عليه لينصرنه الله^١ . . . وقوله [ولا تقربوهن حتى يطهرن^٢] فيقال للاقطاع طهر ، وللوضوء والغسل غير أن الثاني أظهر . و « المؤول » الذي يستحيل حمله على ظاهره فيصرف الى معنى آخر يعينه السياق هو كذلك نوع من أنواع المنطوق ؛ لأن ظاهرة المستحيل مرجوح ، ومعناه الذي يعينه السياق راجح يكاد اللفظ نفسه ينطق به وينبئ عنه ، من ذلك قوله تعالى : وهو معكم أينما كنتم ، فان حمل المعية على قرب الله بذاته مستحيل فتمين صرفه عن ذلك وحله اما على الحفظ والرعاية أو على القدرة والعلم والرؤية ، كما قال تعالى : ونحن أقرب اليه من جبل الوريد ، وكقوله تعالى : واخفض لها جناح الذل من الرحمة ، فانه يستحيل حمله على الظاهر ، لاستحالة

(١) سورة الانعام رقم : ١٤٥

(٢) سورة الحج رقم : ٦٠

(٣) سورة البقرة رقم : ٢٢٢

(٤) سورة الحديد رقم : ٤

(٥) سورة ق رقم : ١٦

(٦) سورة الاسراء رقم : ٢٤

أن يكون آدمى له أجنحة ، فيحمل على الخضوع وحسن الخلق . وكقوله تعالى :
 « وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه » يستحيل أن يشد في القيامة في عنق
 كل طائع وعاص وغيرهما طير من الطيور ، فوجب حمله على التوام الكتاب
 في الحساب لكل واحد منهم بعينه .

وقد يكون اللفظ مشتركا بين حقيقتين أو حقيقة ومجاز ويصح حمله
 عليها جميعا كقوله تعالى : [لا يضار كاتب ولا شهيد] فانه يحتمل ولا يضار
 الكاتب والشهيد صاحب الحق بجور في الكتابة والشهادة . ولا يضار
 بالفتح أى لا يضارهما صاحب الحق بالزامهما مالا يلزمهما واجارهما على
 الكتابة والشهادة . سواء قلنا بجواز استعمال اللفظ في معنيه أو لا .

ووجهه على هذا أن يكون اللفظ قد خوطب به مرتين ، مرة أريد
 هذا ومرة أريد هذا . ثم ان توقفت صحة دلالة اللفظ على اضرار سميت
 دلالة اقتضاء نحو [واسأل القرية] أى أهلها . وان لم توقف ودل اللفظ
 على ما لم تقصد به سميت دلالة اشارة كدلالة قوله تعالى [أحل لكم ليلة
 الصيام الرفث الى نسائكم] على صحة صوم من أصبح جنبا اذ اباحه الجماع الى
 طلوع الفجر تستلزم كونه جنبا في جزء من النهار وقد حكى هذا الاستنباط
 عن محمد بن كعب القرظى .

(١) سورة الاسراء رقم : ١٣

(٢) سورة البقرة رقم : ٢٣٣

والمفهوم هو - ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق ، وكأنهم لاحظوا في تعريفه أن المعنى الذمى هو المنفذ الوحيد الى دلالة . وهو قسمان :

مفهوم موافقة اذا وافق المنطوق بحكمه ؛ ومفهوم مخالفة اذا لم يوافق به ولكل من هذين المفهومين فروع تتعلق به ، فمفهوم الموافقة اذا دل على المعنى الأولى بالأخذ والاعتبار سمي « فحوى الخطاب ، كدلالة [فلا تقل لها أف] ، على تحريم ضرب الوالدين : لأنه أولى بالتحريم من قول أف لها ، واذا دل على المعنى المساوى سمي « لحن الخطاب ، كدلالة « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً » ، على تحريم احراق أموال اليتامى أو اتلافها باى نوع من أنواع التلف ، لأن الاتلاف هو المقصود بالتحريم ، سواء احصل بالأكل أم بالاحراق فكل منهما مساو للاخر .

و مفهوم المخالفة على أنواع أهمها : مفهوم وصفي ، ومفهوم شرطى ، ومفهوم حصرى . يذكرون عادة من أنواع مفهوم المخالفة خمسة :

الصفة والشرط والغاية والعدد واللقب ، ولكفنا اقتصرنا على أهمها ويتوسع في المفهوم الوصفي فلا يقتصر فيه على النعت ، بل يدخل فيه كل ما أفاد معنى الوصفية كالحال والظرف والعدد .

(١) سورة الاسراء رقم : ٢٢

(٢) سورة النساء رقم : ١٠

مثال النعت « ان جامكم فاسق بنياً قنينوا أن تصيروا قوماً بجهالة » ، مفهومه أن غير الفاسق لا يجب التيين في خبره فاذا جامنا من نعت بالعدالة بنياً قبلناه وتسلمنا به وحسبنا الظن بخبره ، ومن هنا استنبط العلماء وجوب قبول الخبر الذي يرويه الواحد العدل .

ومثال الحال : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون »^٢ ، فان الغاية من الآية التدرج في تحريم المسكرات على المؤمنين ، فالصلاة لا تقرب الا في حالة الصحة التي يعلم فيها المصلي ما يقول : وفي حال السكر لا يعي الانسان شيئاً مما يفعل ويقول ، ولذلك لا تجوز صلاة المؤمنين وهم سكارى .

ومثال الظرف : « فاذكروا الله عند المشعر الحرام »^٣ ، فقد هينت الآية الظرف المكاني الذي يذكر الله فيه ذكراً خاصاً ، فلو ذكر الله في غير هذا المكان لكان تحصيلاً لشيء غير مطلوب ؛ والامر التعبدى لا يعلل ، لأن تنفيذه على الوجه الذي أراده الشارع دليل على طاعة الله ، والتزيد فيه كالتقصان منه معصية ووضع للشيء في غير محله .

ومثل ذلك في قوله تعالى « الحج أشهر معلومات » ، فهذا تعيين

(١) سورة الحجرات رقم : ٦

(٢) سورة النساء رقم : ٤٣

(٣) سورة البقرة رقم : ١٩٨

(٤) سورة البقرة رقم : ١٩٨

للظرف الرمانى الذى يجرم فيه الحجاج ، بحيث لو وقع احرامه في غير هذه الأشهر لكان غير صحيح .

ومثال العدد : « و الذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة و لا تقبلوا لهم شهادة أبدا و أولئك هم الفاسقون » ، فقد القاذف ثمانون جلدة لا أكثر و لا أقل .

و هذه الأمثلة الأربعة كلها شواهد على المفهوم الوصفي ، مع شئ من الاتساع فيه .

و مثال المفهوم الشرطى : « و ان كن أولات حمل فانتقوا عليهن » ، فاشتراط الحمل يفيد أن غير الحاملات لا يجب الاتفاق عليهن .

(١) سورة النور رقم : ٤

(٢) سورة الطلاق رقم : ٦

(٣) واضح أن الزوجات غير الحاملات اللاتى لا ينفق عليهن الأزواج ، من المستثنيات بما لديهن من المال ، وفقا لقاعدة الاسلام فى تحقيق السكنى الاقتصادية المستقل للمرأة و كتحقيقه للرجل سواء بسواء ، « للرجال نصيب مما اكتسبوا و للنساء نصيب مما اكتسبن » ، الآية من سورة النساء آية رقم (٢٢) أما فى حالة فقر المرأة فالرجل مسئول عن الاتفاق عليها ، حاملا كانت أو غير حامل « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض و بما أنفقوا من أموالهم » ، الآية من سورة النساء آية رقم ٢٤

ومثال المفهوم الحصري : « اياك نعبد و اياك نستعين » ، أى لا نعبد
أحدًا سواك ولا نستعين الا بك .

وقد نص العلماء على أنه لا مفهوم للوصول وصلته في قوله « وربائبكم
اللاتى في حجوركم من نسائكم » ، لأن الغالب أن يكن في حجور الأزواج ،
ولا مفهوم للشرطية في قوله « ولا تكمروا قياتكم على البغاء ان أردن
تحصنًا » ، بان ارادتهن التحصن موافقة للواقع .

فلا يجوز اكراه القنيات على البغاء ان مالت أنفسهن الى الفحشاء
ولم يردن التحصن لأن الآية لا تشترط شرطًا وانما توافق واقع القنيات عند
ما يكون واقما سلبا ليس فيه شذوذ . والاطلاع على ذلك من فوائد معرفة
أسباب النزول .

(فائدة)

قال بعضهم : الألفاظ اما أن تدل بمنطوقها أو بفحواها ومفهومها
أو باقتضائها وضرورتها ، أو بمقولها المستنبط منها كما حكاه ابن الحصار وقال :
هذا كلام حسن : قلت فالاول دلالة المنطوق ، والثانى دلالة المفهوم
والثالث الاقتضاء والرابع دلالة الإشارة .
هذا والله أعلى وأعلم .

(١) سورة الفاتحة رقم : ٥

(٢) سورة النساء رقم : ٢٢

(٣) سورة النور رقم : ٣٤

إعجاز القرآن

- الإعجاز لغة : ماخوذ من المعجز ، وهو عدم القدرة على فعل الشيء المطلوب .
- اصطلاحا : إعجاز القرآن فصحاء العرب وبلغاهم عن أن يأتوا بمثله .
- القرآن الكريم : هو المعجزة الكبرى لرسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وهذا يتطلب منا معرفة المعجزة قبل الحديث عن الإعجاز .

المعجزة : ظاهرة تكررت في حياة الانبياء صلوات الله عليهم ، لتكون دليلا على صدق دعوات النبوة .

ولا بد في المعجزة ان تتوفر فيها امور ثلاثة .

اولا :

أنها أمر خارق للعادة غير جار على ما اعتاد الناس من سنن الكون والظواهر الطبيعية ، ولذلك فهي غير قابلة لتفسيرها على نحو ما يجرى عادة في الحياة .

ثانيا :

أنها أمر مقرون بالتحدى ، تحدى المكذبين أو الشاكين ، ولا بد

أن يكون الذين يتحدون من القادرين على آيات مثل المعجزة ان لم تكن من عند الله والا فان التحدى لا يتصور ، إذ أننا لا نستطيع أن نتصور بطلا في الملائكة يتحدى طفلا ؛ لأن هذا الطفل عاجز عن مواجهته .

ثالثا :

أنها أمر سالم من المعارضة ، فتي أمكن لاحد أن يعارض هذا الأمر و يأتي بمثله بطل أن تكون معجزة :
و المعجزة على نوعين : حسية وعقلية .

و الملاحظ أن أكثر معجزات الانبياء السابقين كانت حسية بينما نجد أن المعجزة الكبرى التي جاء بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عقلية ، ونعني بهذه المعجزة القرآن وهناك معجزات أخرى للنبي صلى الله عليه وسلم .
جاء في الصحيح أخبارا وهي كثيرة و لعل مرد ذلك الى أن هذه الشريعة آخر الشرائع وستبقى الى الابد الى يوم القيامة ، و من أجل ذلك فقد خصت بالمعجزة العقلية الباقية ، ليراما ذوو البصائر في كل العصور ومنها تقدم الزمان .

ومكذا فان معجزات الانبياء السابقين عليهم السلام - قد انقرضت بانقراض أعصارهم ؛ فلم يشاهدا إلا من حضرهما ، بينما معجزة القرآن مستمرة الى يوم القيامة .

و بنحو من هذا الذى ذكرنا فسر العلماء قوله صلى الله عليه وسلم فيما
أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة :

[ما من الانبياء نبى الا أعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان
الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الى فارجو أن أكون أكثرهم تبعا يوم القيامة] .
الاعجاز :

تحدى القرآن فصحاء العرب بمعارضته ، ومحاولتهم فى المعارضة ،
ولكنهم انهزموا أمام تحديه وأعلنوا عجزهم عن تقليده ، وهم فى الذروة العليا
من البلاغة والتحكم فى زمام القول ، وجودة القريحة ، وصفاء السليقة ، هذا
العجز من هؤلاء القوم الذين أنزل القرآن بلغتهم بشكل عنصرا واحدا من
حجة القرآن على العالم ، وهذا العنصر يضع القرآن موضع الاعتبار .

أقول إن أئمة الكفر أنفسهم شعروا بسلطانه على القلوب وهو القدر
المتاح لهم لادراك إعجاز البيان - فقالوا لاتباعهم : [لاتسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه لعلمكم تغلبون] وذلك خوفا من سريان الروح التى شعر بها الوليد
ابن المغيرة حين قال : [إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وانه لمثمر أعلاه
مغدق أسفله وانه ليعلو ولا يعلو عليه وانه ليحطم ماتحته] وهو نفس الإعجاز
الذى أدرك منه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجها يناسبه حينما سمع القرآن
الكريم فى بيت أخته فهاوى صرح الشرك من قلبه ، وشمخ صرح الايمان
فى كيانه ، إلى آخر ما هو معلوم لنا فى دعوة الاسلام .

فاتساع سلطانه على القلوب أعظم دليل وأصدق برهان على اتساع مدى الإعجاز القرآني الى جانب إقناع البيان وتجاوز هذا الإعجاز نطاق البلاغة والفصاحة وتصحيح النظريات العلمية والتنبؤ بالمستقبل الى نطاق السياسة والاجتماع والعلوم التجريبية كلها .

أما الرسول العظيم فيأبى أن تكون الشمس في يمينه والقمر في يساره إلا ان يظهر دين الله ، فالامر اذن فوق جودة الاسلوب وفوق كل الاعتبارات .

ذلك هو : إذعان العرب عاجزين ، أو انقيادهم مختارين الى تلك العظمة القرآنية التي تفوق مقاييس العظمة الاسلوبية المتعارفة آنذاك .

لقد اشبه الامر على العرب ، فلم تكن في الرسائل السابقة معجزات باطنة في الكتب التي أنزلت على الرسل ، أي لم تكن هناك معجزات من جنس الكلام بل كانت معجزات مادية منفصلة تماما عن الكتب السماوية .

و هذا الواقع هو الذي دفع العرب إلى أن يقولوا : [ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق] . و الى أن يطلبوا منه أن يجعل لهم الصفا ذهباً و الى أن يقولوا عن القرآن : [هذا أفك قديم] حينما لم يهتدوا بعيدا عن معجزات المادة .

القول بالصرفة

زعم إبراهيم بن إسحاق النظام وهو من أئمة المعتزلة في العصر العباسي

أن الله تعالى صرف العرب عن معارضته وكان مقدورا لهم .

وقد أنكروا هذا القول الباطل جبهة علماء اللغة والدين وتولوا الرد عليه منذ أيام الجاحظ حتى العصر الحاضر ، ونورد فيما يأتي طائفة من اقوال العلماء في استنكار هذا الرأي .

قال الباقلاني رحمه الله : [على أن ذلك لو لم يكن معجزا على ما وصفناه من جهة نظمه الممتنع لكان مهبطا من رتبة البلاغة فيه ووضع من مقدار الفصاحة في نظمه كان أبلغ في الإعجوبة اذا صرفوا عن الايتان بمثله ، ومنعوا عن معارضته ، وعدلت دواعيهم عنه ، فكان يستغنى عن ازاله على النظم البديع واخراجه في المعرض الفصيح العجيب على أنه لو كانوا صرفوا لم يكن من قبلهم من أهل الجاهلية مصروفين عما كان يعدل به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم وعجيب الرصف فلما لم يوجد في كلام من قبله مثله علم أن ما ادعاه القائل بالصرقة ظاهر البطلان وما يبطل ما ذكروه من القول بالصرقة قول الامام السيوطي ردا على هذا القول الذي قال به [النظام] ومن جرى مجراه . ان هذا القول فاسد بدليل قوله تعالى : [قل لئن اجتمعت الانس والجن . . .] . الآية .

أما الجاحظ نفسه فقد فضح أستاذة [ابراهيم النظام] فقال : [بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم أكثر ما كانت العرب شاعرا وخطيبا وأحكم ما كانت لغة وأشد ما كانت عدة وهو في ذلك يحتاج عليهم

بالقرآن ويدعوم صباحا ومساء الى أن يعارضوه ان كان كاذبا بسورة واحدة أو آيات يسيرة ، فكلما ازداد تحديا لهم بها وتقريبا لعجزهم عنها ، تكشف من نقصهم ما كان مستورا ، وظهر منه ما كان خفيا ، فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة قالوا : أنت تعرف من اخبار الامم ما لا نعرف فلذلك يمكنك ما لا يمكننا قال فهاتوما مفتريات . فلم يرم ذلك خطيب ؛ ولا طمع فيه شاعر فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم ، الى غير ذلك من الأقوال التي أبطلت ما ذهب اليه النظام .

وقد لخص السيوطي الافكار التي يتضمنها الرد باربعة .

- ١ - قوله تعالى : [قل لئن اجتمعت الانس والجن . . . الآية يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم تبقى فائدة لاجتماعهم لانهم عندئذ يكونون كالموتى وليس عجز الموتى بما يخفى بذكره .
- ٢ - أجمع العلماء على أن الاعجاز مضاف للقرآن فكيف يكون معجزا وليس فيه صفة إعجاز : بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبه القدرة .
- ٣ - يلزم من القول بالصرقة زوال الاعجاز بزوال زمن التحدى . ويخلو القرآن عندئذ من الاعجاز ، وفي ذلك خرق لاجماع الامة أن معجزة الرسول العظيمى باقية ، ولا معجزة له باقية سوى القرآن .
- ٤ - لو كانت المعارضة ممكنة وانما منع منها الصرقة لم يكن الكلام معجزا

و انما يكون بالمنع معجزا ؛ فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه .

مدار الاعجاز

الاعجاز دليل النبي صلى الله عليه وسلم على صدق نبوته ، و على أن هذا القرآن تنزيل من حكيم حميد ومدار الاعجاز الذي وافقه التحدى انما كان أسلوب القرآن ونظمه وبيانه ، و لم يكن لشيء خارج عن ذلك .
وآيات التحدى كثيرة :

لقد تحدى الانس و الجن أن يأتوا بمثله فجزوا عن ذلك مع توافر دواعى أعدائه على معارضته وفصاحتهم وبلاغتهم .

[قل ائن إجتمع الانس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا] .

وقوله تعالى : [أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين]^٢ .

ثم تحدى أن يأتوا بعشر سور من مثله فجزوا .

[أم يقولون اقترأه قل يأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما أنزل

(١) سورة الاسرا رقم : ٨٨

(٢) سورة الطور رقم : ٣٣

بىلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون^١ .

ثم تنازل الى التحدى بسورة من مثله فجزوا عنه وهم يعلمون عجزهم
وتقصيرهم عن ذلك ، وأن هذا ما لا سبيل لاحد اليه أبدا .

وقوله تعالى : [وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة
من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن
تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين^٢] .
قال الامام ابن كثير رحمه الله .

ومثل هذا التحدى إنما يصدر عن واثق بان ما جاء به لا يمكن للبشر
معارضته ولا الاتيان بمثله ، ولو كان من متقول من عند نفسه لخاف
أن يعارض فينفضح ، ويمود عليه تقيض ما قصده من متابعة الناس له .

ومعلوم لكل ذى لب أن محمدا صلى الله عليه وسلم من أعقل
خلق الله ، بل أعقلهم وأكلمهم على الاطلاق ، فما كان ليقدم على هذا الأمر
إلا وهو عالم بانه لا يمكن معارضته ومكذبا وقع ، فانه من لدن رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى زماننا هذا لم يستطع أحد أن يأتى بتظيره ولا نظيره
سورة منه وهذا لا سبيل اليه أبدا .

(١) سورة هود رقم : ١٣-١٤

(٢) سورة البقرة رقم : ٢٣ وما بعدها .

بسم الله الرحمن الرحيم

(بيان الاقوال المختلفة في وجوه الاعجاز)

ذكر العلماء في الاعجاز وجوما عديدة : ونحن ازاء هذه العجالة نكتفي

بذكر ثلاثة منها طلبا للاختصار ورعاية لمقتضى الحال .

أحدا : اعجاز ما فيه من الاخبار عن الغيوب المستقبلية .

وذلك بما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم اليه ، فمن ذلك

ما وعد الله تعالى نبيه عليه السلام ، أنه سيظهر دينه على الأديان بقوله تعالى

(هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره

المشركون) . ففعل ذلك .

الوجه الثانى :

أنه كان معلوما من حال النبي صلى الله عليه وسلم ؛ أنه كان أميا

لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ .

وكذلك كان معروفا من حاله أنه لم يكن يعرف شيئا من كتب

المتقدمين وأقاصيصهم وأنبأاتهم وسيرهم ثم أتى بجملة ما وقع وحدث من

عظيمة الأمور ، ومهمات السير ، من حين خلق آدم عليه السلام إلى حين

(١) سورة التوبة رقم : ٢٣

مبعثه ؛ فذكر في الكتاب الذي جاء به معجزة له قصة آدم عليه السلام وابتداء خلقه وما صار أمره اليه من الخروج من الجنة ثم جملا من أمر ولده وأحواله وتوبته الى غير ذلك من المفيات .

ونحن نعلم علما ضروريا أن هذا بما لا سبيل إليه إلا عن تعلم و اذا كان معروفا أنه لم يكن مخالطا لاهل الآثار وحملة الاخبار و لا مترددا الى التعلم منهم ، و لا كان ممن يقرأ فيجوز أن يقع اليه كتاب فيأخذ منه - علم أنه لا يصل الى علم ذلك إلا بتأييد من جهة الوحي ولذلك قال الله عزوجل : [و ما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تحطه يمينك اذا لارتاب المبطلون] .
وقال تعالى : [وكذلك نصرنا الآيات وليقولوا درست] ٢ .

الوجه الثالث :

انه بديع النظم ، عجيب التأليف ، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه .

وقال الزركشى في البرهان : أهل التحقيق على أن الاعجاز وقع بجميع ما سبق من الاقوال لا بكل واحد على اقراده فانه جمع ذلك كله فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع بل وغير ذلك مما لم يسبق فيها الروعة التي له في قلوب السامعين و أسماعهم سواء المقر

(١) سورة العنكبوت رقم : ٤٨

(٢) سورة الانعام رقم : ١٠٥

والجأحد إلى غير ذلك من وجوه إجماز القرآن .
الخلاصة :

١ - قليل القرآن وكثيره في شان الاعمجاز سواء .

٢ - الاعمجاز في أسلوب القرآن ونظمه وبيانه وخصائصه الفنية مبانة للمهود
من خصائص البيان البشرى .

٣ - ما في القرآن الكريم من إخبار بالغيب وحديث عن الماضي بدقائه
وتفصيلاته واخبار بدخائل النفس وأسرارها وكشف عن حقائق عليية
وكونية ، واحكام في التشريع يضمن مصالح الناس . كل ذلك بمعزل
عن هذا التحدى المفضى الى الاعمجاز وان كان دليلا على أنه من عند
الله عز وجل ولكنه لا بد على أن نظمه وبيانه مبان لنظم كلام البشر
وانه بهذه المبانة كلام رب العالمين .

٤ - العرب الذين تحداهم القرآن الكريم هم أمة البيان والفصاحة ولديهم
القدرة على تمييز ما كان من كلام البشر ، وما ليس من كلامهم .
وقد ادركوا أنهم بالتحدى طولبوا بان يأتوا بمثل هذا الكلام .

٥ - ان هذا التحدى لم يقصد به الاتيان بمثل معانى القرآن ؛ بل قصد
ان يأتوا بما يستطيعون اقتراء واختلافة من كل معنى أو غرض بما يعتلج
في نفوس البشر .

٦ - هذا التحدى مستمر الى يوم القيامة وموجه الى الثقلين أيضا .

٧ - وأخيرا فان العرب الذين نزل عليهم هذا القرآن كانوا يحسون بجماله ويدركون اعجازه . واستمر الامر كذلك جيلين من الناس الى أن داخلت العجمة سواد الناس فافسدت سلاتهم ، وبدأت العلوم والمعارف الدخيلة تسرب الى حياتهم ، و قام دجالون مفرضون يريدون تشويه حقيقة الاسلام وكان من هؤلاء [الجعد بن درهم] ثم جاء النظام إبراهيم بن سيار فقال بالصرقة ، ورد عليه الجاحظ في كتابه [نظم القرآن] وقد أكثر المعتزلة من إثارة قضية اعجاز القرآن ، وكذلك فان عددا من علماء أهل السنة المتذوقين لليسان العربي كتبوا في ذلك من امثال الامام عبد القادر الجرجاني^٢ والرازي و الزملكاني .

وقد بقي من الكتب المؤلفة في القرنين الرابع والخامس عن إعجاز القرآن .

كتاب الرماني و هو [النسكت في إعجاز القرآن] ومؤلفه هو : علي ابن عيسى الرماني المتوفى ٣٨٤ هـ

وكتاب الخطابي وهو [بيان إعجاز القرآن] ومؤلفه هو : حمد بن محمد المتوفى ٣٨٨ هـ

(١) هو مبتدع له آراء ضالة وذكره بعضهم في الزنادقة ، قتله خالد بن عبد الله القسري سنة ١١٨ هـ

(٢) هو الامام الكبير واضع أسس البلاغة و الذواقة عبد القادر الجرجاني المتوفى ٤٧١ هـ .

وكتاب الباقلاني و هو [إعجاز القرآن] ومؤلفه هو أبو بكر محمد بن

الطيب المتوفى ٤٠٣ هـ

هذا و إن مما يتصل بموضوع إعجاز القرآن الكريم وسمو بيانه

موضوع ترجمة القرآن. والحق في هذه المسألة التي كثر الأخذ والرد فيها أنه

تقرر ان ترجمة القرآن أمر مستحيل ، لان أى نص بليغ تتعذر ترجمته في

أى لغة من لغات الارض فما القول بالكلام الا الهى المعجز ؟

أما تفسير معانى آياته بغير اللغة العربية فامر لا مانع منه ، بل انه

واجب ولكنه لا يسمى قرآنا بحال من الاحوال .

واننى وان كنت أطنبت القول فى الاعجاز فلأنه أمر وثيق الصلة

بالدعوة الاسلامية وبالدراسات القرآنية .

بسم الله الرحمن الرحيم

(قصص القرآن)

الحادثة المرتبطة بالاسباب والنتائج يهفو اليها السمع . فاذا تخللها مواطن العبرة في أخبار الماضين كان حب الاستطلاع لمعرفة ما جرى من أقوى العوامل على رسوخ عبرتها في النفس وهذا بخلاف الموعظة الخطابية فانها تسرد سردا لا يجمع العقل أطرافها ولا يبي جميع ما يلقي فيها ولكنها حين تأخذ صورة من واقع الحياة في أحداثها تتضح أهدافها ويرتاح المرء لسماعها ويصنى اليها بشوق ولطفة ، ويتأثر بما فيها من عبر وعظات ، وقد أصبح أدب القصة اليوم فنا خاصا من فنون اللغة وآدابها والقصص الصادق يمثل هذا الدور في الأسلوب العربي أقوى تمثيل ، ويصوره في أبلغ صورة قصص .
قصص القرآن الكريم :

القصص : تتبع الأثر ، يقال : قصصت أثره : أى تتبعته ، والقصص مصدر قال تعالى : [فارتدا على آثارهما قصصا] . أى رجعا يقصان الأثر الذى جاء به .

وقال تعالى على لسان أم موسى [و قالت لآخته قصيه] . أى تتبعى أثره

(١) سورة الكهف رقم : ٦٤

(٢) سورة القصص رقم : ١١

- حتى تنظري من يأخذه .
- و القصص كذلك : الأخبار المتبعة .
- قال تعالى : [ان هذا هو القصص^١] .
- وقال تعالى : [لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب^٢] .
- والقصة : الأمر ، والخبر ؛ والشان ، والحال .
- وقصص القرآن : اخباره عن أحوال الأمم الماضية ، والنبوات السابقة والحوادث الواقعة .

وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي وتاريخ الأمم وذكر البلاد والديار . وتتبع آثار كل قوم ؛ وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه .

أنواع القصص في القرآن الكريم

والقصص في القرآن الكريم على ثلاثة أنواع :

النوع الاول :

قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة ، وأشخاص لم تثبت نبوتهم كقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت . وطلوت وجالوت ، وابني آدم ، وأهل الكهف ، وذى القرنين ، وقارون وأصحاب السبت ؛ ومريم ، وأصحاب

(١) سورة آل عمران رقم : ٦٢

(٢) سورة يوسف رقم : ١١١

الاخذود، وأصحاب الفيل وغيرهم .

النوع الثاني :

قصص الانبياء ، وقد تضمن دعوتهم الى قومهم . والمعجزات التي أيدم الله بها ؛ وموقف المعاندين منهم ، و مراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين و المكذبين . كقصص نوح ، وإبراهيم وموسى وهارون وعيسى ومحمد ، وغيرهم من الأنبياء و المرسلين ، عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام .
النوع الثالث :

قصص تتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم : كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران ، و غزوة حنين و تبوك في التوبة ، و غزوة الاحزاب في سورة الاحزاب . والهجرة والاسراء ونحو ذلك .

تكرار قصص القرآن وحكمته

يشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص الذي تكرر في غير موضع ؛ فالقصة الواحدة يتعدد ذكرها في القرآن الكريم ، وتعرض في صور مختلفة في التقديم والتأخير ، والايجاز والاطناب ، وما شابه ذلك .
و من حكمة هذا :

١ - بيان بلاغة القرآن الكريم في أعلى مراتبها فن خصائص البلاغة ابراز المعنى الواحد في صور مختلفة ، و القصة المتكررة ترد في كل موضع

باسلوب يتميز عن الآخر ، وتصاغ في قالب غير القالب ، ولا يمل الانسان من تكرارها بل تتجدد في نفسه معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى .

٢ - قوة الاعجاز : فايراد المعنى الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الاتيان بصورة منها أبلغ في التحدى .

٣ - الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها في النفس فان التكرار من طرق التاكيد وامارات الاهتمام . كما هو الحال في قصة موسى عليه السلام مع فرعون . لانها تمثل الصراع بين الحق والباطل أم تمثيل مع أن القصة لا تكرر في السورة الواحدة مهما كثر تكرارها .

٤ - اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة فتذكر بعض معانيها الوافية بالفرض في مقام ، وتبرز معاني أخرى في سائر المقامات حسب اختلاف مقتضيات الاحوال .

أثر القصص القرآني في التربية والتهديب

بما لا يدع مجالاً للشك أن القصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشغف - وتنفذ الى النفس البشرية بسهولة ويسر ، وتسترسل مع سياقها

المشاعر فلا تمل ، ويرتاد العقل عناصرها فيجنى من حقوقها الازهار والثمار .
والدروس التلقينية والالتقائية تورث الملل ، ولا تستطيع الناشئة أن تتابعها
وتستوعب عناصرها الا بصعوبة بالغة والى أمد قصير . ولذا كان الاسلوب
القصصي أجدى نفعا ؛ واكثر فائدة ؛ وايسر اسلوبا .

والمهود - حتى في حياة الاطفال - ان يميل الطفل الى سماع
الحكاية ، ويصغى الى رواية القصة ، وتعي ذكرااته ما يروى له . فيحاكيه
ويقصه . هذه الظاهرة الفطرية النفسية ينبغي لمن يعملون في حقل التعليم
ان يفيدوا منها في مجالات التعليم . لا سيما التهذيب الديني ، الذي هو لب
التعليم ، وقوام التوجيه فيه . وفي القصص القرآني تربة خصبة تساعد
المربين على النجاح في مهمتهم ، وتمدهم بيزاد تهذيبي ، من سيرة النبيين ،
واخبار الماضين وسنة الله في حياة المجتمعات ، وأحوال الامم . ولا تقول
في ذلك الاحقا وصدقا . ويستطيع المربي أن يصوغ القصة القرآنية
بالاسلوب الذي يراه ملائما للمستوى الفكري للتعلين في شتى نواحي التعليم -
وياحبذا لو نهج الناس هذا المنهج التربوي السليم كما نهجه بعضهم .

فوائد قصص القرآن الكريم

وللقصص القرآني فوائد عديدة نورد أهمها فيما يأتي :

١ - إيضاح أسس الدعوة الى الله ، وبيان أصول الشرائع التي بعث بها

كل نبي [وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون] ١ .

٢ - تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم وقلوب الأمة المحمدية على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده ، وخذلان الباطل واعوانه .
[وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين] ٢ .

٣ - تصديق الأنبياء السابقين واحياء ذكراهم وتخليد آثارهم .

٤ - اظهار صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والاجيال .

٥ - مقارنته أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى ، وتحديه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل كقوله تعالى [كل الطعام كان حلالا لبني إسرائيل الا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين] ٢ .

٦ - والقصص ضرب من ضروب الادب ؛ يصغى اليه السمع ، وترسخ عبره في النفس ، [لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب] ١ .

(١) سورة الانبياء رقم : ٢٥

(٢) سورة هود رقم : ١٢٠

(٣) سورة آل عمران رقم : ٩٣

(٤) سورة يوسف رقم : ١١١

بسم الله الرحمن الرحيم

(أمثال القرآن)

الحقائق السامية في معانيها وأهدافها تأخذ صورتها الرائعة إذا صيغت في قالب حسن يقربها الى الأفهام بقياسها على المعلوم اليقيني ، والتثيل هو القالب الذي يبرز المعاني في صورة حية تستقر في الاذمان ، وذلك مثل تشبيه الغائب بالحاضر ، والمعقول بالمحسوس ، وقياس النظير على النظير ، وكم من معنى جميل أكسبه التمثيل روعة وجمالا ، فكان ذلك أدعى لتقبل النفس له ؛ واقتناع العقل به ، وهو من أساليب القرآن الكريم في ضروب بيانه ونواحي إعجازه .

ومن العلماء من أفرد الامثال في القرآن بالتأليف ، ومنهم من عقد لها بابا في كتاب من كتبه ؛ فأفردها بالتأليف - أبو الحسن الماوردي . وعقد لها بابا السيوطي في الاتقان ، وابن القيم في كتاب اعلام الموقعين حيث تتبع أمثال القرآن التي تضمنت تشبيه الشيء بنظيره ، والتسوية بينهما في الحكم - فبلغت بضعة واربعين مثلا .

(١) هو ابو الحسن علي بن حبيب الشافعي : صاحب كتاب أدب الدنيا و الدين

و كتاب الاحكام السلطانية - ت ٤٥٠ هـ .

- وقد أخبرنا الله تعالى بضرب الامثال في القرآن الكريم : فقال جل شأنه [ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون^١].
- وقال تعالى : وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون^٢ .
- وقال تعالى : [وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون^٣].

و أخرج البيهقي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [ان القرآن نزل على خمسة أوجه (١) حلال ، (٢) وحرام ، (٣) ومحكم ، (٤) ومتشابه ، (٥) و امثال ، فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام ، واتبعوا المحكم ، وآمنوا بالمتشابه ، واعتبروا بالامثال] .

قال الماوردي : من أعظم علم القرآن علم امثاله والناس في غفلة عنه لاشتغالهم بالامثال واغفالهم الممثلات ، والمثل بلا مثل كالفرس بلا لجام والناقة بلا زمام . وقد عده الشافعي مما يجب على المجتهد معرفته من [علوم القرآن] فقال : ثم معرفة ما ضرب فيه من الامثال الدوال على طاعته ، المينة لاجتناب ممصيته ، وترك الغفلة عن الحفظ و الازيداد من نوافل الفضل .

وقال الشيخ عز الدين : انما ضرب الله الامثال في القرآن تذكيرا و وعظا

(١) سورة الزمر رقم : ٢٧

(٢) سورة العنكبوت رقم : ٤٣

(٣) سورة الحشر رقم : ٢١

فما اشتمل منها على تفاوت ثواب أو على إحباط عمل أو على مدح أو ذم أو نحوه فانه يدل على الاحكام . وقال غيره : ضرب الامثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة : التذكير والوعظ والحك والرجز والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس ، فان الامثال تصور المعاني بصورة الاشخاص لانها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس ، ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالمشاهد ؛ وتأتي امثال القرآن مشتملة على بيان بتفاوت الأجر ، وعلى المدح والذم ، وعلى الثواب والعقاب ؛ وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره ، وعلى تحقيق أمر أو ابطاله .

قال تعالى : [وضربنا لكم الأمثال] . فامتد علينا بذلك لما تضمنه

من الفوائد .

قال الزركشى في البرهان : ومن حكمته تعليم البيان وهو من

خصائص هذه الشريعة .

وقال الزمخشري : التمثيل انما يصار اليه لكشف المعاني وادناء

المتوهم من المشاهد ، فان كان الممثل له عظيما كان الممثل به مثله وان كان حقيرا كان الممثل به كذلك .

وقال الأصبهاني : لضرب العرب الامثال واستحضار العلماء النظائر شأن

ليس بالخفي في ابراز خفيات الدقائق ورفع الاستار عن الحقائق ، تريك المتخيل في صورة المتحقق ، والمتوهم في معرض المتيقن ، والغائب كانه مشاهد

وفي ضرب الامثال تبيكت للخصم الشديد الخصومة ، وفيه أيضا من تقرير المقصود ما لا يخفى فانه يؤثر في القلوب ما لا يؤثر وصف الشيء في نفسه ولذلك أكثر الله تعالى في كتابه وفي سائر كتبه « الامثال » ومن سور الانجيل سورة تسمى « الامثال » وفشت في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وكلام الانبياء والحكما

تعريف الأمثال

الامثال : جمع مثل ، والمثل والمثل والمثيل : كالشبه والشبه والشبيه لفظا ومعنى . والمراد به هنا ابراز المعنى في صورة حسية تكسبه روعة وجمالا . والمثل بهذا المعنى لا يشترط أن يكون له مورد ، كما لا يشترط أن يكون مجازا مركبا .

وإذا نظرنا الى امثال القرآن التي يذكرها المؤلفون وجدنا أنهم يوردون الآيات المشتملة على تمثيل حال أمر بجال أمر آخر ؛ سواء أورد هذا التمثيل بطريق الاستعارة ، أم بطريق التشبيه الصريح ؟ أو الآيات الدالة على معنى رائع بإيجاز ، أو التي يصح استعمالها فيما يشبه ما وردت فيه فان الله تعالى ابتدأها دون أن يكون لها مورد من قبل .

فامثال القرآن لا يستقيم حملها على أصل المعنى اللغوي الذي هو الشبه والنظير ؛ ولا يجوز حملها على ما يذكر في كتب اللغة لدى من ألفوا

في الامثال . اذ ليست امثال القرآن اقوالا استعملت على وجه تشبيه مضرها
بموردها ، كما لا يستقيم حملها على معنى الامثال عند علماء البيان فن امثال
القرآن ما ليس باستعارة وما لم يفش استعماله .

قابن القيم يقول في امثال القرآن : تشبيه شئ بشئ في حكمة ،
وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار احدهما
بالآخر . ويسوق الأمثلة : فوجد اكثرها على طريقة التشبيه الصريح كقوله
تعالى : [إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء] .

و في الحديث الصحيح [ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم
كمثل غيث أصاب أرضا فكان منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلا والعشب
الكثير وكان منها طائفة أمسكت الماء فشرب الناس واستقوا وزرعوا وكانت
منها طائفة إنما هي قيعان لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلا ، وذلك مثل من
فقه في دين الله فنفعه ما بعثني الله به من الهدى والعلم ، و مثل من لم يرفع
بذلك رأسه ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به .

و منها ما يجي على طريقة التشبيه الضمني ، كقوله تعالى : [ولا يغتب
بعضكم بعضا أوجب احدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه] . اذ ليس
فيه تشبيه صريح .

ومنها ما لم يشتمل على تشبيه ولا استعارة كقوله تعالى : [يا ايها الناس

(١) سورة يونس رقم : ٢٤

(٢) سورة الحجرات رقم : ١٢

ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له و ان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب و المطلوب [١] .

فقوله تعالى : [ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا] قد سماه الله مثلا وليس فيه استعارة ولا تشبيه .

و أما المثل في الأدب : فهو قول محكى سائر يقصد به تشبيه حال الذى حكى فيه بحال الذى قيل لأجله ، أى يشبه مضربه بمورده ، مثل [رب رمية من غير رام] أى رب مصيبة حصلت من رام شأنه أن يخطئ ، و أول من قال هذا الحكم بن يعقوب النقرى ؛ يضرب للخطئ . يصيب أحيانا و على هذا فلا بد له من مورد يشبه مضربه به .

و يطلق المثل على الحال و القصة العجيبة الشأن ، و بهذا المعنى فسر لفظ المثل في كثير من الآيات كقوله تعالى : [مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن ٢] أى قصتها و صفتها التى يتعجب منها .

و أشار الزمخشري الى هذه المعاني الثلاثة فى كشفه فقال : [و المثل فى أصل كلامهم بمعنى المثل و النظير ، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ، ثم قال : وقد استعير المثل للحال أو القصة أو الصفة اذا كان

(١) سورة الحج رقم : ٧٣

(٢) سورة محمد رقم : ١٥

لها شأن وفيها غرابة .

ومناك معنى رابع ذهب اليه علماء البيان في تعريف المثل فهو عندهم

المجاز المركب الذي تكون علاقته المشابهة متى فشا استعماله .

وأصله الاستعارة التمثيلية كقولك للتردد في فعل أمر : [مالى أراك

تقدم رجلا وتؤخر اخرى] .

أنواع الامثال في القرآن

الامثال في القرآن ثلاثة أنواع : ١ - الامثال المصرحة .

٢ - والامثال الكامنة . ٣ - والامثال المرسلة .

النوع الاول : الامثال المصرحة : وهي ما صرح فيها بلفظ المثل

أو ما يدل على التشبيه . وهي كثيرة في القرآن على سبيل المثال لا الحصر

نورد منها ما يأتي :

الف - قوله تعالى في شأن المنافقين [مثلهم كمثل الذي استوقد نارا

فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم

بكم عمى فهم لا يرجعون . او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق -

إلى قوله - ان الله على كل شيء قدير] .

في هذه الآيات ضرب الله للمنافقين مثلين : مثلا ناريا في قوله :

[كثل الذي استوقد نارا -] لما في النار من مادة النور ومثلا ماثيا في قوله [أو كصيب من السماء . . .] لما في الماء من مادة الحياة وقد نزل الوحي من السماء متضمنا لاستنارة القلوب وحياتها - وذكر الله حظ المناققين في الحالتين - فهم بمنزلة من استوقد نارا للاضائة والنفع حيث انتفعوا ماديا بالدخول في الاسلام ولكن لم يكن له أثر نورى في قلوبهم فذهب الله بما في النار من الاضائة [ذهب الله بنورهم] وبقى ما فيها من الاحراق وهذا مثلهم النارى وذكر مثلهم المائى فشبههم بحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق فغارت قواه ووضع اصبعيه في اذنيه وغمض عينيه خوفا من صاعقة تصيبه لان القرآن بزواجره ونواهيه وخطابه نزل عليهم نزول الصواعق .

ب - وذكر الله المثلين : المائى والنارى - في سورة الرعد للحق والباطل فقال تعالى [أنزل من السماء ماء فسمالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا راييا وبما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فاما الزبد فيذهب جفاً ، وأما ما ينفع الناس فيكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال] شبه الوحي الذى أنزله من السماء لحياة القلوب بالماء الذى أنزله لحياة الارض بالنبات ؛ وشبه القلوب بالأودية والسيل اذا جرى في الاودية احتمل زبدا وغشا فكذلك الهدى والعلم اذا سرى في القلوب اثار ما فيها من الشهوات ليذهب بها ، وهذا هو المثل

- الماتى في قوله [أُنزل من السماء ماء] وهكذا يضرب الله الحق والباطل .
- وذكر المثل النارى في قوله [وبما يوقدون عليه في النار] فالمعادن من ذهب أو فضة أو نحاس أو حديد عند سبكها تخرج النار ما فيها من الخبث وتفصله عن الجوهر الذى يتنفع به فيذهب جفاً . فكذلك الشهوات يطرحها قلب المؤمن ويجفوها كما يطرح السيل والنار ذلك الزبد وهذا الخبث .
- النوع الثانى : من الامثال : الامثال الكامنة - وهى التى لم يصرح فيها بلفظ المثل ؛ ولكنها تدل على معان رائعة فى ايجاز ، يكون لها وقعها اذا نقلت الى ما يشبهها ، ويمثلون لهذا النوع بامثلة منها .
- ١ - ما فى معنى قولهم [خير الامور اوسطها] .
- الف - قوله تعالى : [لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك] ١ .
- ب - قوله تعالى : فى النفقة [والذين اذا أففقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً] ٢ .
- ج - قوله تعالى فى الصلاة : [ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً] ٣ .
- د - قوله تعالى فى الاتفاق : [ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك

(١) سورة البقرة رقم : ٦٨

(٢) سورة الفرقان رقم : ٦٧

(٣) سورة الاسراء رقم : ١١٠

- ولا تبسطها كل البسط^١]
- ٢ - ما في معنى قولهم [ليس الخبر كالعيان]
- قوله تعالى في إبراهيم عليه السلام [قال أو لم تؤمن قال بلى
ولكن ليطمئن قلبي^٢]
- ٣ - ما في معنى قولهم [كما تدين تدان]
- قوله تعالى : [من يعمل سوءا يجز به^٣]
- ٤ - ما في معنى [لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين]
قوله تعالى بلسان يعقوب [قال هل آمنكم عليه إلا كما أمتكم على أخيه
من قبل^٤].

النوع الثالث : الامثال المرسله في القرآن الكريم : وهي جعل أرسلت

ارسالاً من غير تصريح بلفظ التشبيه . فهي آيات جارية مجرى الامثال .
و من أمثلة ذلك ما يأتي :

- ١ - [الآن ححصص الحق^٥]
- ٢ - [ليس لها من دون الله كاشفة^٦]

(١) سورة الاسراء رقم : ٢٩

(٢) سورة البقرة رقم : ٢٦٠

(٣) سورة النساء رقم : ١٢٣

(٤) سورة يوسف رقم : ٦٤

(٥) سورة يوسف رقم : ٥١

(٦) سورة النجم رقم : ٥٨

- ٣ - [قضى الأمر الذى فىه تستفتيان^١]
- ٤ - [اليس الصبح بقريب^٢]
- ٥ - [لكل نبأ مستقر^٣]
- ٦ - [ولا يحيق المكر السبى الا باهله^٤]
- ٧ - [قل كل يعمل على شاكلته^٥]
- ٨ - [وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم^٦]
- ٩ - [كل نفس بما كسبت رهينة^٧]
- ١٠ - [هل جزاء الاحسان الا الاحسان^٨]
- ١١ - [كل حزب بما لديهم فرحون^٩]
- ١٢ - [ضعف الطالب و المطلوب^{١٠}]

(١) سورة يوسف رقم : ٤١

(٢) سورة هود رقم : ٥٨

(٣) سورة الأنعام رقم : ٦٧

(٤) سورة فاطر رقم : ٤٣

(٥) سورة الاسراء رقم : ٨٤

(٦) سورة البقرة رقم : ٢١٥

(٧) سورة المدثر رقم : ٣٨

(٨) سورة الرحمن رقم : ٦٠

(٩) سورة المؤمنون رقم : ٥٣

(١٠) سورة الحج رقم : ٧٣

- ١٣- [مثل هذا فليعمل العاملون^١].
- ١٤- [لا يستوى الخبيث والطيب^٢].
- ١٥- [كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله^٣].
- ١٦- [تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى^٤].

واختلفوا في هذا النوع من الآيات الذي يسمونه ارسال المثل ، ما حكم استعماله استعمال الامثال ؟ فراه بعض أهل العلم خروجا عن أدب القرآن . قال الرازى في تفسير قوله تعالى [لكم دينكم ولى دين] جرت عادة الناس بان يتمثلوا بهذه الآية عند التاركة وذلك غير جائز لانه تعالى ما أنزل القرآن ليتمثل به ، بل يتدبر فيه ، ثم يعمل بموجبه .

ورأى آخرون أنه لا حرج فيما يظهر أن يتمثل الرجل بالقرآن في مقام الجدل كان يأسف أسفا شديدا لنزول كارثة قد تقطعت أسباب كشفها عن الناس فيقول : [ليس لها من دون الله كاشفة] أو يجاوره صاحب مذهب فاسد يحاول استهواه إلى باطله فيقول [لكم دينكم ولى دين] والاثم الكبير في أن يقصد الرجل إلى التظاهر بالبراعة فيتمثل بالقرآن حتى في مقام الهزل والمزاح .

(١) سورة الصافات رقم : ٦١

(٢) سورة المائدة رقم : ١٠٠

(٣) سورة البقرة رقم : ٢٤٩

(٤) سورة الحشر رقم : ١٤

فوائد الامثال

- ١ - الامثال تبرز المعقول في صورة المحسوس الذي يلبسه الناس ، فيقبله العقل لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن الا اذا صيغت في صورة حسية قريبة الفهم كما ضرب الله مثلا لحال المنفق رياء حيث لا يحصل من اتقاه على شيء من الثواب ؛ فقال تعالى [فتمله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فكرهه صلدا لا يقدررون على شيء بما كسبوا] .
- ٢ - وتكشف الامثال عن الحقائق وتعرض الغائب في معرض الحاضر كقوله تعالى [الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس]^٢ .
- ٣ - وتجمع الامثال المعنى الرائع في عبارة موجزة كالامثال الكامنة والامثال المرسلة في الآيات الآتفة الذكر .
- ٤ - ويضرب المثل للترغيب في الممثل حيث يكون الممثل به مما ترغب فيه النفوس كما ضرب الله مثلا لحال المنفق في سبيل الله حيث يعود عليه الاتفاق بخير كثير فقال تعالى : [مثل الذين يتفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة ائنتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة والله يضاعف

(١) سورة البقرة رقم : ٢٦٤

(٢) سورة البقرة رقم : ٢٧٥

لمن يشاء والله واسع عليم^١ .

٥ - ويضرب المثل للتفسير حيث يكون المثل به مما تكرمه النفوس كقوله تعالى في النهي عن الغيبة [ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن ياكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه^٢] .

٦ - ويضرب المثل للمدح الممثل كقوله تعالى في الصحابة [ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطاه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوته يعجب الزراع ليغيب بهم الكفار^٣] وكذلك حال الصحابة فانهم كانوا في بدء الامر قليلا ، ثم أخذوا في النمو حتى استحکم امرهم وامتلات قلوب اعجابا بعظمتهم .

٧ - ويضرب المثل حيث يكون للمثل به صفة يستعجبها الناس ، كما ضرب الله مثلا لحال من آتاه الله الكتاب ، فتتكب الطريق عن العمل به ، وانحدر في الدنيا منغمسا فقال تعالى : [واتل عليهم نبأ الذي آتينا آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الارض واتبع هواه فثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا] .

(١) سورة البقرة رقم : ٢٦١

(٢) سورة الحجرات رقم : ١٢

(٣) سورة الفتح رقم : ٢٩

(٤) سورة الاعراف رقم : ١٧٥-١٧٦

٨ - والامثال أوقع في النفس ، وأبلغ في الوعظ ، واقوى في الزجر ؛
وأقوم في الاقتناع ، وقد أكثر الله تعالى الامثال في القرآن الكريم
للتذكرة والعظة وقد بسطنا القول في ذلك .

وضربها النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه ، واستعان بها الداعون
الى الله في كل عصر لنصرة الحق واقامة الحجة ويستعين بها المربون ،
ويتخذونها من وسائل الايضاح والتشويق ، و وسائل الترية في الترغيب
أو التنفير في المدح أو الذم ، الى غير ذلك مما تقدم بيانه .

انتهى بتصرف .

مذا والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

علم الرسم القرآني

اتبعت اللجنة الرابعة في استنساخ مصاحف الامصار على عهد عثمان رضی الله عنه طريقة خاصة ارتضاها هذا الخليفة في كتابة كلمات القرآن الكريم وحروفه . وقد اصطلح العلماء على تسمية هذه الطريقة [برسم المصحف] وكثيرا ما ينسبون هذا الرسم الى الخليفة الذي ارتضاه فيقولون : رسم عثمان أو [الرسم العثماني] وكان لا بد أن يحاط هذا الرسم بهالة من الاجلال والتقدير فالخليفة الذي ارتضاه ووضعه موضع التنفيذ شهيد عظيم لقي مصرعه وهو يتلو كتاب الله خاشعا متبتلا .

الأصل في المكتوب أن يكون موافقا تمام الموافقة للنطق ، من غير زيادة ولا نقص ، ولا تبديل ولا تغيير . ولكن المصاحف العثمانية قد أهمل فيها هذا الأصل ، فوجدت بها حروف كثيرة جاء رسمها مخالفا لأداء النطق وذلك لاغراض شريفة ظهرت وتظهر لك فيما بعد . ولم يكن ذلك منهم كيفما اتفق ، بل على أمر عندهم قد تحقق ، وجب الاعتناء به والوقوف على سببه وقد عنى العليله بالكلام على رسم القرآن وحصر تلك الكلمات التي جاء

خطها على غير مقياس لفظها - وقد أفردته بالتصنيف خلافاً من المتقدمين
والتأخرين ، منهم الامام أبو عمرو الداني إذ ألف فيه كتابه المسمى [المقنع]
ومنهم العلامة أبو عباس المراكشي إذ ألف كتاباً أسماه [عنوان الدليل في رسوم
خط التنزيل] .

ومنهم الشيخ محمد بن أحمد الشبير بالتولى إذ نظم أرجوزة سماها
[اللؤلؤ المنظوم في ذكر جملة من الرسوم] الى غير ذلك .
قال ابن درستويه : خطان لا يقاس عليهما خط المصحف وخط
تقطيع العروض .

ومن هذا المنطلق يتبين لنا أن الخط ثلاثة أقسام :

- ١ - خط يتبع به الاقتداء السلفي ، وهو رسم المصحف .
 - ٢ - وخط جرى على ما أثبتته اللفظ واسقاط ما حذفه وهو خط العروض
فيكتبون التنوين ويحذفون همزة الوصل .
 - ٣ - وخط جرى على العادة المعروفة ، وهو الذي يتكلم عليه النحوي .
- وقال الفارسي :

لما عمل أبو بكر بن السراج كتاب الخط والهجا قال لي : أكتب
كتاباً هذا قلت له : نعم إلا أنني آخذ بآخر حرف منه ، قال : وما هو ؟
قلت : قوله : [ومن عرف صواب اللفظ عرف صواب الخطأ] .
قال أبو الحسين بن فارسي في كتاب فقه اللغة : [يروى أن أول من كتب

الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة كتبها في طين وطبخه : فلما أصاب الأرض الغرق وجد كل قوم كتابا فكتبوه ، فاصاب إسماعيل الكتاب العربي .

وكان ابن عباس يقول : أول من وضع الكتاب العربي إسماعيل عليه السلام قال : والروايات في هذا الباب كثيرة ومختلفة ؛ وقال ابن فارس : الذي نقوله أن الخط توقيفي لقوله تعالى [علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم] وقال : [ن والقلم وما يسطرون] .

وأن هذه الحروف داخلة في الأسماء التي علم الله آدم عليه السلام ، وقد ورد أمر أبي جاد ومبتدأ الكتابة أخبار كثيرة ليس هذا محلها ، وقد بسطت في تأليف مستقل .

وزعم قوم أن العرب العاربة لم تعرف هذه الحروف باسمائها ، وانهم لم يعرفوا نحوها ولا اعرابا ولا رفعا ولا نصبا ولا همزا .

(١) قالوا ، و الدليل على ذلك ما حكاه بعضهم عن بعض الاعراب أنه قيل له : أتهمز اسرائيل ؟ فقال : انى اذن لرجل سوء ، قالوا : وانما قال ذلك لانه لم يعرف من الهمز الا الضفط والعصر . وقيل لآخر : أبحر فلسطين ؟ فقال انى اذن لقوى . قالوا : وسمع بعض فصحاء العرب ينشد :
(نحن بنى علقمة الاخيारा)

فقيل له : نصبت (بنى) فقال : ما نصبته . وذلك أنه لم يعرف من النصب =

قال : وما اشتهر أن أبا الأسود أول من وضع العربية وأن الخليل أول من وضع العروض فلا ننكره ؛ وإنما نقول : [إن هذين العليين كانا قديما وأتت عليهما الايام ، وقلا في ايدي الناس ، ثم جددهما هذان الامامان] .

ومن الدليل على عرفان القدماء [من الصحابة وغيرهم] ذلك كتابتهم المصحف على الذي يعلمه النجويون في ذوات الياء والواو والهمز والمد ، والقصر .

فكتبوا ذوات الياء بالياء وذوات الواو بالواو ، ولم يصوروا الهمزة اذا كان ما قبلها ساكنا ، نحو [الخبء] و [الدفء] و [الملاء] فصار ذلك [كله] حجة ، وحتى كره بعض العلماء ترك اتباع المصاحف .

وأسند الى الفراء قال : إتباع المصحف إذا وجدت له وجها من كلام العرب وقراءة القراء أحب الى من خلافه .

وقال أشهب : سئل مالك رحمه الله : هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : لا ، الا على الكتابة الاولى . رواه

= الا اسناد الشيء . قالوا : وحكى الاخفش عن اعرابي فصيح أنه سئل أن ينشد قصيدة على الدال فقال : وما الدال ؟ وحكى أن ابا حية النيرى سئل ان ينشد قصيدة على الكاف فقال :

كفى بالناس من أسماء كاف وليس لسقمها اذ طال شاف

أبو عمرو الداني في المنتع ثم قال : ولا يخالف له من علماء الأمة .
 وقال في موضع آخر : سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل
 الواو والالف أن ترى أن تغير من المصحف اذا وجد فيه كذلك ؟ فقال :
 لا . قال أبو عمرو : يعنى الواو والالف المزيدين في الرسم لمعنى المعدومتين
 في اللفظ نحو الواو في [اولوا الالباب] [وأولات] و [الربوا] ونحوه
 وقال الامام أحمد رحمه الله : تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في ياء
 أو واو أو ألف أو غير ذلك .

قلت : وكان هذا في الصدر الاول والعلم حى غض واما الان
 فقد يخشى الالتباس ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : لا تجوز كتابة
 المصحف الآن على الرسوم الاولى باصطلاح الأئمة لتلا يوقع في تغير من
 الجهال ولكن لا ينبغي اجراء هذا على إطلاقه لتلا يودى الى دروس العلم
 وشى . أحكمته القدماء لا يترك مراعاته لجهل الجاهلين ولن تخلو الأرض من
 قائم لله بالحجة . وقد قال البيهقي في شعب الايمان : من كتب مصحفا فينبغى
 أن يحافظ على حروف الهجاء التى كتبوا بها تلك المصاحف ، و لا يخالفهم
 فيها ولا يغير بما كتبوه شيئا فانهم أكثر علما وأصدق قلبا ولسانا وأعظم أمانة
 منا فلا ينبغى أن نظن . بأنفسنا استدراكا عليهم . و روى بسنده عن زيد
 قال : القراءة سنة . قال سليمان بن داود الهاشمي : يعنى ألا تخالف الناس
 برأيك في الاتباع .

قال : وبمعناه بلغنى عن أبي عبيد في تفسير ذلك : وترى القراء

لم يلتفتوا الى مذهب العربية في القراءة اذا خالف ذلك خط المصحف . واتباع
حروف المصاحف عندنا كالسنن القائمة التي لا يجوز لاحد ان يتعداها .

قواعد رسم المصحف

وللمصحف العثماني قواعد في خطه ورسمه ، حصرها علماء الفن
في ست قواعد هي : [١] الحذف [٢] والزيادة [٣] والهمز [٤] والبدل
[٥] والفصل والوصل [٦] وما فيه قراءتان ققرئى على احدهما -

[القاعدة الأولى في الحذف] تحذف الألف من ياء النداء نحو :
يا أيها الناس ويا آدم . ويارب ، يا عباد . وما التثنية نحو : هؤلاء ، ما أتمم .
ونامع ضمير نحو أنجيتناكم وآتيناه . ومن ذلك ، وأولئك ولكن وتبارك
وفروع الأربعة والله وإله كيف وقع والرحمن وسبحان كيف وقع
الاقل سبحان ربي وبعد لام نحو : خلافت خلف رسول الله ، سلام ،
غلام ، ايلاف ، يلاقوا . وبين لامين نحو : الكلالة ، الضلالة ؛ خلال
الديار ، للذي بيكة . ومن كل علم زائد على ثلاثة : كإبراهيم وصالح
وميكائيل الاجالوت وهامان وأجوج ومأجوج وداود لحذف واوه
واسرائيل لحذف يائه . واختلف في هاروت وماروت وقارون .
ومن كل مثنى اسم أو فعل ان لم يتطرف نحو : رجلان ، يعملان ،
أضلانا ، ان مذان ، الا بما قدمت يداك . ومن كل جمع تصحيح لمذكر
كان أو مؤنث نحو : اللاعنون ملاقوا ربهم ، الا طاعون في الذاريات

والطور ، وكراما كاتبين ، والا روضات في شوري ، وآيات للسائلين ، ومكر في آياتنا وآياتنا بينات في يونس ؛ والا ان تلاها همزة نحو الصائمين والصائمات أو تشديد نحو ، الضالين والضاغفات فان كان في الكلمة ألف ثانية حذفت أيضا الا سبع سموات في فصلت . ومن كل جمع على مفاعل أو شبهه نحو : المساجد ومساجن ، واليتامى ، والنصارى ، والمساكين ؛ والخبائث والملائكة ، والثانية من خطايا كيف وقع و من كل عدد نحو ثلاث ، وساحر الا في آخر الذاريات فان ثنى فالفاء ، والقيامة ، وشيطان وسطان ، و تعالى ، واللاقى ، واللاقى ، وخلق ، وعالم ، وبقادر ، والاصحاب ، والانهار ، والكتابة .

ومكر الثلاثة إلا اربعة مواضع : لكل أجل كتاب ، كتاب معلوم ، كتاب ربك في الكهف ، وكتاب مبين في النحل .

ومن البسمة بسم الله مجراها ، ومن أول الامر من سأل .

ومن كل ما اجتمع فيه ألفان أو ثلاثة نحو : آدم ، آخر ، أشفقتم ، أنذرتهم ، غناء ، ومن وراء كيف وقع ؛ الا ما رأى ، ولقد رأى في النجم ، والا نأى ، والآن ، الا فن يستمع الآن ، والألفان من الأيكة ، الا في الحجر وق .

وتحذف الياء من كل متقوص منون رفعا وجرا نحو : باغ ولا عاد . والمضاف لها إذا نودى الا يا عبأدى الذين أسرفوا ، يا عبأدى الذين آمنوا في العنكبوت ، أو لم يناد ، الا قل لعبأدى ، أسر بعبأدى في طه وحم ، فادخل

في عبادى وادخل جتى . ومع مثلها نحو : ولي ، والحواريين ، ومتكئين ،
 إلا عليين ، وهى ، وهى ، ومكر السبي ، وسبته ، والسبته ، أفسينا ، ويجبى
 مع ضمير لا مفردا ، وحيث وقع أطيعون ، اتقون ، خافون ، ارهبون ،
 فارسلون ، واعبدون ؛ الا فى يس واخشون ، الا فى البقرة وكيدون ،
 الا فكيدون جميعا ؛ واتبعون إلا فى آل عمران وطه ، ولا تنظرون ،
 ولا تستعجلون ، ولا تكفرون ، ولا تقربون ، ولا تحزون ، ولا تفضحون ،
 ويهدين ، وسيهدين ، وكذبون ، ويقتلون ، أن يكذبون ، ووعيدى ،
 والجوار ؛ و بالوادى والمهتدى ، الا فى الاعراف .

وتحذف الواو إذا وقعت مع واو أخرى فى نحو لا يستون
 فاووا ، و إذا المؤودة ، يؤوسا . وتحذف اللام إذا كانت مدغمة فى مثلها
 نحو الليل ، و الذى ، الا الله . و اللهم ؛ واللعة وفروعه ، واللوه ؛ واللغو ،
 واللؤلؤ واللات ، واللم ، واللهب ، واللطف ؛ واللوامه .

[فرع] فى الحذف الذى لم يدخل تحت القاعدة . حذف الألف
 من مالك الملك ، ذرية ضعافا ، مراغما ، خادعهم ، أكالون للسحت ، بالغ ،
 ليجادلوكم ، وباطل ما كانوا فى الاعراف وهود ، الميعاد فى الاقوال ، ترابا
 فى الرعد والنمل ، وعم : جذاذا ، يسارعون ، أية المؤمنون ؛ أية الساحر
 أية الثقلان ، أم موسى فارغا ، وهل تجازى ؛ من هو كاذب ؛ للقاسية ، فى
 الزمر ، عاهد عليه الله ، ولا كذايا .

وحذف الياء من إبراهيم في البقرة ، والداع إذا دعان ؛ ومن
اتبعن ، وسوف يؤت الله ، وقد هذان ؛ ننج المؤمنين ؛ فلا تسألن ما ؛
يوم يات لا تكلم ، حتى تؤتون موثقا ، تفقدون ، المتعال ؛ متاب ؛ مأب ؛
عقاب ، في الرعد وغافر ؛ وفيها عذاب ، أشركتمون من قبل ، وتقبل دعاء ؛
لئن أخرجتن ، أن يهدين ، ان ترن ، أن يؤتين ، أن تعلمن ، نبخ ، الخمسة
في الكهف ، أن لا تتبعن في طه . والباد ، وان الله لهاد ، أن يحضرون ؛ رب
ارجعون ، يسقين ، يشفين ، يحيين ، واد النمل ، أتمدون ، فما آتآن ، تشهدون ،
بهاد العمى ، كالجواب ؛ ان يردن الرحمن ، لا ينقذون ، واسمعون ، لتردين ،
صال الجحيم ، التلاق ؛ التناد ، ترجون ، فاعتزلون ، يناد المنادى ، ليعبدون ،
يطعمون ، قفن ، الدع ، مرتين في القمر يسر ، أكرهن ، ولي دين .

وحذف الواو من : ويدع الانسان ، ويمح الله في الشورى ؛ يوم
يدع الدع ، سندع الزبانية .

قال المراكشي :

والسر في حذفها من هذه الأربعة التنبيه على سرعة وقوع الفعل
وسهولته على الفاعل وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود ، وأما - ويدع
الانسان - فيدل على انه سهل عليه ويسارع فيه كما يسارع في الخير ، بل
اثبات الشر اليه من جهة ذاته أقرب اليه من الخير . وأما - ويمح الله
الباطل - فللاشارة الى سرعة ذمها به واضمحلاله ، وأما - يدع الدع - فللاشارة

الى سرعة الدعاء وسرعة اجابة الداعين ، واما الاخيرة فللاشارة الى سرعة الفعل ، و اجابة الزبانية وقوة البطش .

[القاعدة الثانية في الزيادة]

تزداد الألف بعد الواو في آخر كل اسم مجموع او في حكمه ، نحو :

[ملاقوا ربهم ، بنو إسرائيل ، أولو الالباب . و بعد الهمزة المرسومة واوا نحو [تالله تفتوا] وفي كلمات مائة ومائتين ، والظنونا ، والرسولا ، و السيلا ، في قوله تعالى : [وتظنون بالله الظنونا] [و أطعنا الرسولا] [فاضلونا السيلا] .

وتزداد الياء في [من نبأ المرسلين] و [ملائهم] و [من آتأ الليل]

في طه ، [من تلقأى نفسى ، من وراء حجاب] في الشورى [وايتأ ذى القربى] في النحل ، [ولقأى الآخرة] في الروم ، [بأبيكم المفتون بينأما بأيد ، أفأئن مات ، أفأئن مت] .

وتزداد الواو في نحو [أولو ، أولئك ، أولاء ، أولات ، سأوريكم] .

قال المراكشى :

و انما زيدت هذه الاحرف في هذه الكلمات للتحويل والتفخيم والتهديد

والوعيد ؛ كما زيدت في [بأيد] تعظيم لقوة الله تعالى التى بنى بها السماء التى لا تشأبها قوة ، وقال الكرمأنى فى العجائب : كانت صورة الفتحة

في الخطوط قبل الخط العربي ألفا ، وصورة الضمة واوا ، وصورة الكسرة يا ، فكتبت لا أوضعوا ونحوه بالالف مكان الفتحة ؛ وابتأى ذى القربى بالياء مكان الكسرة ، وأولئك ونحوه بالواو مكان الضمة لقرب عدم بالخط الأول .

القاعدة الثالثة : في الهمز

ان الهمزة إذا كانت ساكنة تكتب بحرف حركة ما قبلها . أولا أو وسطا أو آخرنا نحو : إيذن ، وأتمن ، والباساء ، وقرأ ، وجنناك ، وهي ، والمؤتون ، وتسوؤهم الا فادارآتم ، وريا ، والزياء ، وشطئه ، نخذف فيها . وكذا أول الأمر بعد فاء نحو فاتوا ، أو واو نحو : وآتمروا . والمتحرك ان كان أولا أو اتصل به حرف زائد بالالف مطلقا : أى سوا كان فتحة أو ضمنا أو كسرا نحو : أيوب إذا ، أولوا ، ساصرف ، فباى ، سانزل ، الا مواضع ، أننكم لتكفرون ، أننا لخرجون فى النمل ، أننا لتاركوا الهتنا ، أن لنا فى الشعراء ، أنذا متنا ، أن ذكرتم ، أنفكا ، أمة ، لئلا ، لئن ، يومئذ فيكتب فيها بالياء ، قل أونبكم ، ومولا فكتب بالواو . وان كان وسطا فيحرف حركته نحو سال ، سئل ، تقرؤه ، إلا جزاءه الثلاثة فى يوسف .

ولاملائن ، وامتلائت ، واشمازت ، واطهاوا ، نخذف فيها . والا ان فتح وكسر أو ضم ما قبله أو ضم وكسر ما قبله فيحرفه نحو : الخاطئة ، فؤادك سنقرئك ، وان كان ما قبله ساكنا حذف هو نحو : يسئل ،

لا تجثروا ، إلا النشأة ، وموتلا في الكهف .

فان كان الفاء وهو مفتوح قد سبق أنها تحذف لاجتماعها مع الف مثلها إذ الهمز بصورتها نحو أنبأنا و حذف معها أيضا في قرآنا في يوسف والزخرف ، و ان كان ضم أو كسر فلا نحو : أبأؤكم ، أبأئهم إلا قال أولياؤهم ، إلى أولياتهم ، في الانعام ، إن أولياؤه في الأتقال ، نحن أولياؤكم في فصلت . و ان كان بعده حرف يجانسه فقد سبق أيضا أنه تحذف نحو : شأن ، خاسئين ، يستهزئون ، و ان كان آخر فبحرف حركة ما قبله نحو : سبأ ، شاطئ ؛ لؤلؤا ، إلا مواضع تفتو ، تفتيوا ، أتوكوا ، لا تظمؤا ، ما يعبؤا ، ينشؤا ، يذرؤا ، نبؤا ، قال الملوأ ، الاول في قد أفلح والثلاثة في النمل . إلا في خمسة مواضع اثنان في المائة وفي الزمر والشورى والحشر ، شركاؤا في الأنعام ، و شورى ؛ يأتيهم أنبؤا في الأنعام والشعراء علماؤا فيه ، من عباده العلماؤا ، والضعفاؤا في إبراهيم و غافر في أموالنا ما نشاؤا ، وما دعاؤا في غافر ؛ شفعاؤا في الروم ؛ إن هذا هو البلاؤا الميين في الدخان ، برأؤا منكم تكتب في الكل بالواو فان سكن ما قبله حذف هو نحو : مل. الأرض ، دف ، شي ، الحب ، ماء ، إلا لتؤا ، وإن تبوؤا ، السوء كذا استثناء القراء .

قلت : وعندى أن هذه الثلاثة لا تستثنى لأن الألف التي بعد الواو

ليست صورة الهمزة بل هي المزيدة بعد واو الفعل .

القاعدة الرابعة : في البدل .

[١] تكتب الألف واوا للتفخيم و ذلك في أربعة أصول مطردة ؛
وأربعة أحرف متفرعة .
فالاصول الأربعة هي [الصلاة] و [الزكاة] و [الحياة] و [الربو] .

و أما الأربعة الأحرف فهي قوله في الأنعام والكهف : [بالهدوء] ،
و النور [كشكوة] ، و في المؤمن [النجوة] و في النجم [ومنوة] .
فاما قوله : [و ما كان صلاتهم] ، [ان صلاتي] ، [حياتا الدنيا]
[و ما آتيتم من ربا] فالرسم بالالف في الكل .

و القصد بذلك تعظيم شان هذه الأحرف فان الصلاة و الزكاة عمودا
الاسلام و الحياة قاعدة النفس ، و مفتاح البقاء ، و ترك الربا قاعدة الأمان
و مفتاح التقوى ، و لهذا قال : [اتقوا الله و ذروا ما بقى من الربوا
الى قوله تعالى [فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله و رسوله] و يشتمل على
أنواع الحرام ، و أنواع الخبائث ، و ضروب المفسد ، و هو تقيض الزكاة و لهذا
قوبل بينهما في قوله تعالى : [يمحق الله الربوا و يربي الصدقات] و اجتنابه
أصل في التصرفات المالية .

و إنما كتبت بالالف في سورة الروم لأنه ليس العام الكلى ، لان

(١) سورة البقرة رقم : ٢٧٩

(٢) سورة البقرة رقم : ٢٧٦

الكلى منى في حكم الله عليه بالتحريم و في ننى الكلى ننى جميع جزئياته .

فان قلت : فلم كتبت [الزكاة] هنا بالواو ؟ وملا جرت على نظم

ما قبلها من قوله تعالى : [وما آتيتم من ربا] .

قلت : لأن المراد بها الكلية في حكم الله ؛ ولذلك قال : [فاولئك

هم المضعفون] و أما كتابة [النجوة] بالواو فلانها قاعدة الطاعات ومفتاح

السعادات ، قال الله تعالى : [ويا قوم مالي أدعوكم الى النجوة ٢] و [أما الغدوة]

فقاعدة الأزمان ؛ ومبدأ تصرف الانسان ، مشتقة من الغدو ، وأما [المشكوة]

فقاعدة الهداية ، ومفتاح الولاية ؛ قال تعالى : [يهدى الله لنوره من يشاء] .

و أما [منوة] فقاعدة الضلال ومفتاح الشرك والاضلال وقد وصفها

الله بوصفين أحدهما يدل على تكثيرهم الاله من منى ، ومثلث .

و الثانى يدل على الاختلاف والتغاير ، فمن معطل ومشبه .

[تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا] .

[٢] تبدل الألف ياء

وتكتب الألف ياء اذا كانت عن ياء نحو [يتوفيكم] فى اسم أو فعل

اتصل به ضمير أم لا ، لقي ساكنا أم لا ومنه ياحسرق : يا أسنى ، الاقرا ،

(١) سورة الروم : رقم : ٣٩

(٢) سورة المؤمن رقم ٤١

(٣) سورة النور رقم : ٣٥

وكلنا ، ومداني ، ومن عصاني ، والاقصا ، وأقصا المدينة ، وطفا الماء ،
وسيام ، والا ما قبلها يا كالدينا والحوايا ؛ الا يحي اسما أو فعلا وكذلك
ترسم الألف يا في هذه الكلمات [إلى] و [على] و [أن] بمعنى كيف
و [متى] و [بلى] و [حتى] و [لدى] الا لدا الباب .
[٣] تبدل بالألف الواو الثلاثي

ويكتب بالألف الثلاثي الواوي اسما أو فعلا نحو : الصفا وشفا وعفا
الاضحى كيف وقع ، وما زكى منكم ، ودحاها وتلاها وطحاها وسبها .
[٤] تبدل بالالف نون التوكيد الخفيفة

و تكتب بالألف نون التوكيد الخفيفة ، و اذاً وبالنون كاي . وتكتب
بالهاء ما التانيث إلا أن هناك كلمات خرجت عن هذا الأصل : فتكتب بالياء
المجرورة [المفتوحة] فمن ذلك لفظ [رحمة] في سبعة مواضع وهي :
١ - [أولئك يرجون رحمت الله] .
٢ - [ان رحمت الله قريب من المحسنين] .
٣ - [رحمت الله وبركاته] .
٤ - [ذكر رحمت ربك] .

-
- (١) سورة البقرة رقم : ٢١٨
(٢) سورة الاعراف رقم : ٥٦
(٣) سورة هود رقم : ٧٣
(٤) سورة مريم رقم : ٢

- ٥ - [فانظر إلى آثار رحمت الله ^١] .
- ٦ - [أم يقسمون رحمت ربك ^٢] .
- ٧ - [ورحمت ربك خير مما يجمعون ^٣] .
- ومن ذلك لفظ [نعمة] في أحد عشر موضعا : وهي [د ت ، تبدل
ها ، في الوقف]
- ١ - [واذكروا نعمت الله عليكم ^١] .
- ٢ - [واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعدادا ^{١٠٤}] .
- ٣ - [يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم ^٥] .
- ٤ - [ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا ^{١١}] .
- ٥ - [وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها ^٧] .
- ٦ - [وبنعمت الله هم يكفرون ^٨] .

- (١) سورة روم رقم : ٥٠
- (٢) كلاهما بسورة الزخرف رقم ٣٢ وقد رتبنا على حسب ترتيب المصحف .
- (٣) سورة البقرة رقم : ٢٣١
- (٤) سورة آل عمران رقم : ١٠٣
- (٥) سورة المائدة رقم : ١١
- (٦) سورة ابراهيم رقم : ٢٨
- (٧) سورة ابراهيم رقم : ٣٤
- (٨) سورة النحل رقم : ٧٢

- ٧ - [يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها] .
- ٨ - [واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون] .
- ٩ - [ألم تر أن الفلك تجرى في البحر بنعمت الله] .
- ١٠ - [يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم] .
- ١١ - [فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون] .

والحكمة في ذلك أن الحاصلة بالفعل في الوجود تمد ، نحو قوله في إبراهيم : [وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها] بدليل قوله تعالى : [ان الانسان لظلم كفار] فهذه نعمة متصلة بالظلم الكفار تنزيلها . وهذا بخلاف التي في سورة النحل [وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها] كتبت مقبوضة لانها بمعنى الاسم بدليل قوله تعالى : [ان الله لغفور رحيم] فهذه نعمة وصلت من الرب عز وجل فهي ملكوتية ؛ ختمها باسمه عز وجل ، وختم الأولى باسم الانسان ومن ذلك [كلمة] في موضع واحد وهو :

١ - [وتمت كلمت ربك الحسنى] .

-
- (١) سورة النحل رقم : ٨٣
 - (٢) سورة النحل رقم : ١١٤
 - (٣) سورة لقمان رقم : ٣١
 - (٤) سورة الفاطر رقم : ٣
 - (٥) سورة الطور رقم : ٢٩
 - (٦) سورة الاعراف رقم : ١٣٧

ومن ذلك [سنة] في خمسة مواضع وهي :

- ١ - [فقد مضت سنت الأولين] .
- ٢ - [سنت من قد أرسلنا قبلك من رسلنا] .
- ٣ - [فهل ينظرون الا سنت الأولين فلن تجد لسنت الله تبديلا] .
- ٥ - [ولن تجد لسنت الله تحويلا] .

والحكمة في ذلك أنها بمعنى الاملاك والانتقام الذي في الوجود .

وما يدل على أنها بمعنى الانتقام قوله تعالى قبلها [إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف] .

وقوله بعدما [وقاتلوم حتى لا تكون قتنة] .

ومكذا الشأن في [سنة] في مواضعها الخمسة المذكورة و من ذلك

[بقيت] في موضع واحد وهو :

- ١ - [بقيت الله] .

والحكمة في ذلك لأنها بمعنى ما يبقى في أموالهم من الربح المحسوس ،

(١) سورة الانفال رقم : ٣٨

(٢) سورة الاسراء رقم : ٧٧

(٣) ثلاثتها في فاطر رقم : ٤٣

(٤) سورة الانفال رقم : ٣٨

(٥) سورة الانفال رقم : ٣٩

(٦) سورة هود رقم : ٨٦

لأن الخطاب إنما هو فيها من جهة الملك .

ومن ذلك [فطرت] في موضع واحد وهو :

١ - [فطرت الله التي فطر الناس عليها] والحكمة في ذلك وصفها بأنها فطر

الناس عليها ، فهي فصل خطاب في الوجود كما جاء في الحديث [كل

مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه ، أو ينصرانه أو يمجسانه] .

ومن ذلك [قرت] في موضع واحد وهو :

١ - [قرت عين لي ولك]^٢ والحكمة في ذلك لأنها بمعنى الفعل إذ هو خبر

عن موسى ، وهو موجود حاضر في الملك وهذا بخلاف [قرة أعين]^٣

فإنها هنا بمعنى الاسم ؛ وهو ملكوتي إذ هو غير حاضر .

ومن ذلك [معصيت] في موضعين وهما :

١ - ٢ - [ومعصيت الرسول وإذا جاؤك] [أو معصيت الرسول وتناجوا]

كلاهما بسورة المجادلة . والحكمة في ذلك لأنها بمعنى الفعل .

والتقدير : ولا تتناجوا بأن تعصوا الرسول ، ونفس هذا النجو

الواقع منهم في الوجود هو فعل معصية لوقوع النهي عنه .

ومن ذلك [اللعنة] في موضعين وهما : في آية المباينة ، وفي

آية اللعان :

(١) سورة الروم رقم : ٣٠

(٢) سورة القصص رقم : ٩

(٣) سورة الفرقان رقم : ٧٤

- ١ - [ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين^١] . . .
- ٢ - [والخامسة أن لعنت الله عليه أن كان من الكاذبين^٢] والحكمة في ذلك كونها بمعنى الفعل ظاهر . . .
- ومن ذلك [شجرت] في موضع واحد وقوة . . .
- ١ - [أن شجرت الزقوم^٣] والحكمة في ذلك لأنها بمعنى الفعل اللازم وهو تزقيها بالأكل ، بدليل قوله تعالى : [في البطون] فهذه صفة فعل كما في الواقعة : [لا تكون من شجر من زقوم^٤] . وهذا بخلاف قوله : [أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم] في الصافات فإن هذه وصفها بانها : [قننة للظالمين^٥] .
- [وانها تخرج في أصل الجحيم^٦] فهو حلية للاسم ؛ فلذلك قبضت ناؤها .
- ومن ذلك [جنت] في موضع واحد وهو :

١ - [وجنت نعيم^٧] والحكمة في ذلك كونها بمعنى فعل التمتع بالنعيم ،

(١) سورة آل عمران رقم : ٦١

(٢) سورة النور رقم : ٧

(٣) سورة الدخان رقم : ٤٣

(٤) سورة الواقعة رقم : ٥٢

(٥) سورة الصافات رقم : ٦٣

(٦) سورة الصافات رقم : ٦٤

(٧) سورة الواقعة رقم : ٨٩

يدليل اقترانها بالروح والريحان و تاخوها عنها و هما من الجنة ؛ فهذه

جنته خاصة بالنعم بها ،

رواه [من ووشة جنة للنعيم] و [أن يدخل جنة نصيم] فان هذا

بمعنى الاسم الملكي ، والم تعد [تصلية جحيم] لانها اسم ما يفضل بطل كذب

في الآخرة ؛ لعن الله بذلك ، فلو من يعلمه تصديقا ، ولا يخفف لفعل

أبدا ، والصاحبه لذلك ؛ أن ما كان بمعنى للاسم لما تعد فلو ، مثل : [زمره

الحياة الدنيا] و [صغفة الله] و [الزلزال الساطع] و [تحلة أيمانكم] و [رحلة

الشتاء والصيف] و [حمالة الحطب] و [الشمس] و [الليل]

و من ذلك [ابنت] في موضع واحد وهو :

١ - [ومريم ابنت عمران] والحكمة في ذلك التنبيه على معنى الولادة

(١) سورة الشعراء رقم : ٨٥

(٢) سورة المعارج رقم : ٣٨

(٣) سورة الواقعة رقم : ٩٤

(٤) سورة طه رقم : ٣١

(٥) سورة البقرة رقم : ١٣٨

(٦) سورة الحج رقم : ١

(٧) سورة التحريم رقم : ٢

(٨) سورة قريش رقم : ١

(٩) سورة المسد رقم : ٤

(١٠) سورة التحريم رقم : ١٢

والحدوث من التطفة المبهجة ، ولم يصف في القرآن ولد إلى والد ووصف به اسم الولد إلا عيسى وأمه عليها السلام ، لما اعتقد النصارى فيها أنها الهان ؛ فنبه سبحانه بإضافتها الولادية على جهة حدودها بمد صدمها حتى أخبر الله تعالى في موطن بصفة الاضافة دون الموصوف وقل : [وجطانا ابن مريم وأمه آية ١] - لما غلوا في الوهية أكثر من أمه كما نبه تعالى على حاجتها وتغير أحوالها في الوجود ، يلحقها ما يلحق البشر ، قل تطل : [كانا ياكلان الطعام ٢] .

ومن ذلك [امرأت] في سبعة مواضع وهي :

- ١ - [اذ قالت امرأت عمران ٣] .
- ٢ - [وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز ٤] .
- ٣ - [قالت امرأت العزيز ٤] .
- ٤ - [وقالت امرأت فرعون ٥] .
- ٥ - [امرأت نوح ٦] .

(١) سورة المؤمنون رقم : ٥٠

(٢) سورة المائدة رقم : ٧٥

(٣) سورة آل عمران رقم : ٣٥

(٤) كلاهما في سورة يوسف رقم : ٣٠ ، ٥١

(٥) سورة القصص رقم : ٩

(٦) سورة تحریم رقم : ١٠

٦ - امرأت لوطا .

٧ - امرأت فرعون .

ومن خمس من النساء كلها ممدودة تنبئها على فعل التبعل والصحبة
 وشدة المواصلة والمخالطة والاتلاف في الوجود والمحسوس . وأربع منهن
 منفصلات في بواطن أمرهن عن بعولتهن بأعمالهن . و واحدة خاصة واصلت
 بعلمها باطنها وظاهرها و هي امرأت عمران فجعل الله لها ذرية طيبة وأكرمها
 بذلك وفضلها على العالمين وواحدة من الأربع انفصلت بباطنها عن بعلمها
 طاعة لله وتوكلا عليه وخوفا منه فنجاما و أكرمها و هي امرأت فرعون .
 واثنتان منهن انفصلتا عن أزواجهن كفرًا بالله فأملاكهما الله ودمرهما ولم ينفعها
 بالوصلة الظاهرة مع أنها أقرب وصلة بأفضل أحباب الله كما لم تضر امرأت
 فرعون واصلتها الظاهرة بأخبث عيد الله . و واحدة انفصلت عن بعلمها بالباطن
 اتباعا للهوى وشهوة نفسها فلم تبلغ من ذلك مرادها ، مع تمكيتها من الدنيا
 واستيلائها على من مالت اليه بحبها وهو في بيتها وقبضتها وتحت يديها فلم يغن
 ذلك عنها شيئا . وقوتها وعزتها إنما كانت لها من بعلمها [العزیز] ولم ينفعها
 ذلك في الوصول إلى ارادتها مع عظيم كيدما . كما لم يضر يوسف ما امتحن
 به منها ؛ و نجاه الله من السجن و مكن له في الأرض وذلك بطاعته
 لربه . ولا سعادة الا بطاعة الله ، ولا شقاوة الا بمعصيته ؛ فهذه كلها عبر
 وقعت بالفعل في الوجود في شان كل امرأة منهن فلذلك مدت تاماتهن .

(١) سورة التحريم رقم : ١٠-١١

القاعدة الخامسة : في الوصل والفصل

اعلم أن الموصول في الوجود توصل كلماته في الخط كما توصل حروف الكلمة الواحدة ، والمفصول معنى في الوجود يفصل في الخط ، كما تفصل كلمة عن كلمة .

فمن ذلك [إنما] بالكسر كله موصول إلا واحدا [إن ما توعدون لآت]^١ . لأن حرف [ما] هنا وقع على مفصل فنه خير موعود به لأهل الخير ، ومنه شر موعود به لأهل الشر ، فعنى [ما] مفصول في الوجود والعلم .

ومن ذلك [إنما] بالفتح كله موصول الا حرفان :

١ - [وأن ما يدعون من دونه هو الباطل]^٢ .

٢ - [وأن ما يدعون من دونه الباطل]^٣ .

وقع الفصل عن حرف التوكيد ، إذ ليس لدعوى غير الله وصل في الوجود إنما وصلها في العدم والنفي ، بدليل قوله تعالى : عن المؤمن [إنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة] . فوصل [إنما] في النفي وفصل في الاثبات ، لانتقاله عن دعوة الحق .

(١) سورة الأنعام رقم : ١٣٤

(٢) سورة الحج رقم : ٦٢

(٣) سورة لقمان رقم : ٣٠

(٤) سورة غافر رقم : ٤٣

ومن ذلك [كلبا] موصول كله إلا ثلاثة هي :

١ - [كل ما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها] .

فما ردوا إليه ليس شيئاً واحداً في الوجود ، بل أنواع مختلفة في الوجود ،
وصفة مردم ليست واحدة بل متنوعة ، فانفصل [ما] لأنه لعموم
شيء مفصل في الوجود .

٢ - [وأنكم من كل ما سألتموه^١] فحرف [ما] واقع على أنواع مفصلة
في الوجود .

٣ - [كل ما جاء أمة رسولها كذبوه^٢] والامم مختلفة في الوجود ، فحرف
[ما] واقع على تفاصيل موجودة لتفصل .

ومذا بخلاف قوله : [كلبا جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم] ؛
فان هؤلاء هم بنو إسرائيل أمة واحدة بدليل قوله [فلم تقتلون أنبياء الله^٣] -
والمخاطبون على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتلوا الأنبياء ، إنما يشره
آبائهم ، لكن مذهبهم في ذلك واحد وهو - الغدر والخيانة - فحرف [ما]
إنما يشمل تفاصيل الزمان ، وهو تفصيل لا مفصل له في الوجود إلا بالفرض

(١) سورة النساء رقم : ٩١

(٢) سورة ابراهيم رقم : ٣٤

(٣) سورة المؤمنون رقم : ٤٤

(٤) سورة المائدة رقم : ٧٠

(٥) سورة البقرة رقم : ٩١

والتوهم ؛ لا بالحس فوصات [كل] لاتصال الأزمنة في الوجود ، وتلازم أفرادها المتوهمه .

وكذلك : [كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا^١] هذا موصول لأن حرف [ما] جاء لتعميم الأزمنة ؛ فلا تفصيل فيها في الوجود وما رزقوا غير مختلف ، لقوله تعالى : [وأتوا به متشابها] .

ومن ذلك [أينما] موصول إذا كانت [ما] غير مختلفة الأقسام في الفعل الذي بعدها ؛ مثل : [أينما يوجه^٢] [فإينما تولوا^٣] [أينما ثقفوا [أخذوا^٤] [أينما تكونوا يدرككم الموت]^٥ .

فهذه كلها لم تخرج [الأين] الملصكي وهو متصل حسا ، ولم يختلف فيه الفعل الذي مع [ما] وتفصل [اين] حيث تكون [ما] مختلفة الأقسام في الوصف الذي بعدها مثل : [أين ما كنتم تعبدون^٦] [وهو معكم أين ما كنتم^٧] (أين ما ثقفوا الا بجبل من الله وجبل من الناس^٨) .

(١) سورة البقرة رقم : ٢٥

(٢) سورة النحل رقم : ٨٦

(٣) سورة البقرة رقم : ١١٥

(٤) سورة الاحزاب رقم : ٦١

(٥) سورة النساء رقم : ٧٨

(٦) سورة الشعراء رقم : ٩٢

(٧) سورة الحديد رقم : ٤

ومن ذلك : [بئس ما] مفصول الا حرفين باتفاق وحرف مختلف فيه :

أما الحرفان الموصولان باتفاق جميع النقلة فهما :

١ - [بئسما اشتروا به أنفسهم^١]

٢ - [بئسما خلقتموني من بعدى^٢]

وأما الحرف المختلف فيه فهو [قل بئس ما يأمركم به إيمانكم^٣] فحرف

[ما] ليس فيه تفصيل ، لانه بمعنى واحد في الوجود من جهة كونه باطلا

مذموما على خلاف حال [ما] في المائة : [ترى كثيرا منهم يسارعون في

الاثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون^٤] فحرف [ما] يشتمل

على الأقسام الثلاثة التي ذكرت قبل .

وكذلك : [لبئس ما قدمت لهم أنفسهم^٥] حرف [ما] مفصول ،

لانه يعمل ما بعده من الأقسام . ومن ذلك : [يوم هم] في موضعين :

١ - [يوم هم بارزون^٦] ظرفان فصل الضمير عنهما لانه مبتدأ ، وأضيف

= (٨) سورة آل عمران رقم : ١١٢

(١) سورة البقرة رقم : ٩٠

(٢) سورة الاعراف رقم : ١٥٠

(٣) سورة البقرة رقم : ٩٣

(٤) سورة المائة رقم : ٦٢

(٥) سورة المائة رقم : ٨٠

(٦) سورة غافر رقم : ١٦

مورد الظمان في علوم القرآن

اليوم الى الجملة المنفصلة عنه . و اما [يومهم الذي فيه يصعقون^١] و [يومهم الذي يوعدون^٢] وصل الضمير لانه مفرد ، فهو جزء الكلمة المركبة . من اليوم المضاف والضمير المضاف اليه .

ومن ذلك [في ما] تفصل [في] عن [ما] في موضع واحد

اتفاقا و هو قوله تعالى : [اتركون في ما مهنا آمنين^٣] .

و اختلف في عشرة مواضع وهي :

• الاول : [في ما فعلن في أنفسهن من معروف^٤] .

• الثاني : [ليلوكم في ما اتاكم^٥] .

• الثالث : [في ما أوحى الى محرما^٦] .

• الرابع : [ليلوكم في ما اتاكم^٧] .

• الخامس : [وهم في ما اشتتت أنفسهم خالدون^٨] .

(١) سورة الطور رقم : ٤٥

(٢) سورة الزخرف رقم : ٨٣

(٣) سورة الشعراء رقم : ١٤٦

(٤) الموضع الثالث في البقرة رقم ٢٤٠

(٥) سورة المائدة رقم : ٤٨

(٦) سورة الانعام رقم : ١٤٥

(٧) سورة الانعام رقم : ١٦٥

(٨) سورة الانبياء رقم : ١٠٢

السادس : [في ما أفضتم فيه عذاب عظيم^١] .

السابع : [من شركاء في ما رزقناكم^٢] .

الثامن : [في ما هم فيه يختلفون^٣] .

التاسع : [في ما كانوا فيه يختلفون^٤] .

العاشر : [وننشئكم في ما لا تعلمون^٥] .

وتوصل فيما عدا ذلك نحو : [فيما كانوا فيه يختلفون^٦] و [فيما فعلن

في أنفسهن بالمعروف^٧] .

ومن ذلك [كي لا] تفصل [كي] عن [لا] في ثلاثة مواضع وهي :

الاول : [لكي لا يعلم بعد علم شيئاً^٨] .

الثاني : [كي لا يكون على المؤمنين حرج^٩] .

(١) سورة النور رقم : ١٤

(٢) سورة الروم رقم : ٢٨

(٣) سورة الزمر رقم : ٣

(٤) سورة الزمر رقم : ٤٦

(٥) سورة الواقعة رقم : ٦١

(٦) الموضع الاول من البقرة آية ١١٣

(٧) الموضع الثاني من البقرة آية ٢٣٤

(٨) سورة النحل رقم : ٧٠

(٩) سورة الأحزاب رقم : ٣٧

الثالث : [كى لا يكون دولة بين الاغنيا.] .

وما عدا ذلك فوصول :

ومن ذلك : [و إذا كالوم أو وزنوم يخسرون^٢]

فكنتبا موصولتين بدليل حذف الألف بعد الواو فيها فدل ذلك

على أن الواو فيها غير مفصولة : إنتهى بتصريف .

ومن ذلك : [فقال] تفصل لام [مال] عن ما بعدما في أربعة

مواضع وهى :

• الأول : [فقال هؤلاء القوم^٣]

• الثانى : [مال هذا الكتاب^٤]

• الثالث : [وقالوا مال هذا الرسول^٥]

الرابع : [فقال الذين كفروا^٦] وما عدا ذلك فهو موصول :

ومن ذلك : [إبن أم^٧] وما عداها فوصول وهو قوله تعالى [قال

(١) سورة الحشر رقم : ٧

(٢) سورة المطففين رقم : ٣

(٣) سورة النساء رقم : ٧٨

(٤) سورة الكهف رقم : ٤٩

(٥) سورة الفرقان رقم : ٧

(٦) سورة المعارج رقم : ٣٦

(٧) سورة الاعراف رقم : ١٥٠

يا بؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي^١]

ومن ذلك ستة أحرف تفصل عنها بعدما حتميا وهي:

[الالف ، والواو ، والدال ، والذال ، والراء ، والزاي] لأنها

علامات لانفصالات ونهايات ، وسائر الحروف توصل في الكلمة الواحدة :

ومن ذلك : [عن ما] تفصل [عن] عن [ما] في موضع واحد وهو

[قلبا عتوا عن ما نهوا عنه^٢] . وتوصل فيما عدا الموضع المذكور نحو [سبحانه

وتعالى عما يشركون^٣]

ومن ذلك : [من ما] تفصل [من] الجارة عن [ما] في ثلاثة

مواضع : وهي

١ - [من ما ملكت أيمانكم^٤] .

٢ - [هل لكم من ما ملكت أيمانكم^٥] .

٣ - [وأنفقوا من ما رزقناكم^٦] . وما عدا ذلك فوصول نحو :

[فويل لهم مما كتبت أيديهم^٧] .

(١) سورة طه رقم : ٩٤

(٢) سورة الاعراف رقم : ١٦٦

(٣) سورة يونس رقم : ١٨

(٤) سورة النساء رقم : ٢٥

(٥) سورة الروم رقم : ٢٨

(٦) سورة المناققين رقم : ١٠

(٧) سورة البقرة رقم : ٧٩

ومن ذلك : [أم من] تفصل [أم] عن [من] في أربعة مواضع هي :

١ - [أم من يكون عليهم وكيلا] .

٢ - [أم من أسس بنيانه] .

٣ - [أم من خلقنا] .

٤ - [أم من يأتي] وما عدا ذلك فوصول نحو : [أمن

يجيب المضطر اذا دعاه] .

وكذلك : [عن من] تفصل [عن] عن [من] في موضعين : هما

١ - [ويصرفه عن من يشاء] .

٢ - [فأعرض عن من تولى عن ذكرنا] .

ومن ذلك : [ومن] موصول كله نحو [فمن أظلم ممن اقترى على الله

كذبا] .

(١) سورة النساء رقم : ٢٥

(٢) سورة التوبة رقم : ١٠٩

(٣) سورة الصافات رقم : ٣

(٤) سورة فصلت رقم : ٤٠

(٥) سورة النمل رقم : ٦٢

(٦) سورة النور رقم : ٤٣

(٧) سورة النجم رقم : ٢٩

(٨) سورة يونس رقم : ١٧

وكذلك : [وان ما نرينك] تفصل [ان] عن [ما] في موضع واحد

وهو : [وان ما نرينك بعض الذي نعدهم] ١ .

وما عداه فوصول : نحو [فاما نرينك بعض الذي نعدهم] ٢ .

ومن ذلك [فالم] وصلت [ان] بـ [لم] في موضع واحد وهو :

[فالم يستجيوا لكم] ٣ وفصلت فيما عدا ذلك نحو : [فان لم يستجيوا لك] ٤ .

ومن ذلك [ان] توصل [ان] بـ [ن] في موضعين وهما :

١ - [ان نجعل لكم موعدا] ٥ .

٢ - [ان نجمع عظامه] ٦ .

وتفصل فيما عدا هذين الموضعين نحو : [بل ظننتم ان لن ينقلب

الرسول والمؤمنون] ٧ .

ومن ذلك : كل ما في القرآن [ألا] فهو موصل الا عشرة مواضع

فهى مفصولة تكتب النون فيها باتفاق ، وذلك حيث ظهر في الوجود صحة

(١) سورة الرعد رقم : ٤٠

(٢) سورة غافر رقم : ٧٧

(٣) سورة هود رقم : ١٤

(٤) سورة القصص رقم : ٥٠

(٥) سورة الكهف رقم : ٤٨

(٦) سورة القيامة رقم : ٣

(٧) سورة الفتح رقم : ١٢

توكيد القضية ولزومها :

- الاول : [حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق^١]
- الثاني : [أن لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه^٢]
- الثالث : [وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه^٣]
- الرابع : [وأن لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون^٤]
- الخامس : [أن لا تعبدوا الا الله^٥]
- السادس : [أن لا تشرك بي شيئا^٦]
- السابع : [أن لا تعبدوا الشيطان^٧]
- الثامن : [وأن لا تعلموا على الله^٨]
- التاسع : [أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين^٩]

(١) سورة الاعراف رقم : ١٠٠

(٢) سورة الاعراف رقم : ١٦٩

(٣) سورة التوبة رقم : ١١٨

(٤) سورة هود رقم : ١٤

(٥) سورة هود رقم : ٢٥

(٦) سورة الحج رقم : ٢٦

(٧) سورة يسين رقم : ٦٠

(٨) سورة الدخان رقم : ١٩

(٩) سورة القلم : رقم : ٢٤

العاشر : [أن لا يشركن بالله شيئا] .

واختلف في موضع واحد وهو قوله تعالى : [أن لا اله أنت

سبحانك^٢] فرسم في بعض المصاحف مفصولا وفي بعضها موصولا .

أما [إن] مكسورة الهمزة فوصولة مع [لا] في جميع المصاحف

نحو : [الاتصروه فقد نصره الله^٣] .

ومن ذلك : [لام التعريف] المدغمة في اللفظ في مثلها أو غيرها ،

لما كانت للتعريف - وشأن المعرفة أن يكون أبين وأظهر ، أظهرت في الخط

ووصلت بالكلمة ، لأنها صارت جزءا منها من حيث هي معرفة بها ، هذا هو

الأصل ، وقد حذف حيث يخفى معنى الكلمة مثل [الليل] فإنه بمعنى مظلم

لا يوضح الأشياء بل يسترهما ويخفيها ، وكونه واحدا أما للجزئي أو للجنس

فأخفى حرف تعريفه في مثله ، فان تعين للجزئي بالتأنيث رجع الى الأصل .

ومثل [الذي] و [التي] و تثنيتهما و جمعها ، فإنه مبهم في المعنى والكم

لأن أول حده للجزئي وللجنس للثلاث أو غيرها ، ففيه ظلمة الجهل كالليل .

ومثل [التي] في الإيجاب ، فان لام التعريف دخلت على [لا]

النافية .

وفيا ظلمة العدم كالليل ، ففي هذه الظلمات الثلاث يخفى حرف

(١) سورة الممتحنة رقم : ١٢

(٢) سورة الانبياء رقم : ٨٧

(٣) سورة التوبة رقم : ٤٠

التعريف . وكذلك [الأيكة] نقلت حركة همزتها على لام التعريف وسقطت همزة الوصل لتحريك اللام ، فاجتمعت الكلمتان ، فصارت [ليكة] علامة على اختصار وتلخيص وجمع في المعنى ، وذلك في حرفين :

أحدهما في الشعراء قوله [كذب أصحاب ليكة المرسلين^١] جمع فيه قصتهم مختصرة وموجزة في غاية البيان ، وجعلها جملة في آخر قصة في السورة بدليل قوله [إن في ذلك لآية^٢] فافردما .

والثاني في ص قوله [وأصحاب ليكة أولئك الأحزاب^٣] جمع الأمم فيها بالتأنيب وجعلهم جهة واحدة ، هم آخر أمة فيها ووصف الجملة . قال تعالى :- [أولئك الأحزاب] . وليس الأحزاب وصفا لكل منهم بل هو وصف جميعهم .

و جاء بالانقصال على الأصل حرفان نظير مذين الحرفين : أحدهما [وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين^٤] أفردم بالذكر والوصف والثاني [وأصحاب الأيكة^٥] جمعوا فيه مع غيرهم ، ثم حكم على كل منهم لا على الجملة ، قال تعالى :- [كل كذب الرسل^٥] لحيث يعتبر فيهم

(١) سورة الشعراء رقم : ١٧٦

(٢) سورة الشعراء رقم : ١٩٠

(٣) سورة ص رقم : ١٣

(٤) سورة الحجر رقم : ٧٨

(٥) سورة ق رقم : ١٤

التفصيل فصل لام التعريف ، وحيث يعتبر فيهم التوصليل وصل للتخفيف .
ومن ذلك : [لتخذت عليه أجرا] حذفت الألف ووصلت لأن
العمل في الجدار قد حصل في الوجود فلزم الأجر ، واتصل به حكما ،
بخلاف : [لاتخذوك خلبلا] ليس فيه وصلة للزوم .

كتابة فوائح السور

كتبوا [الم] و [الر] موصولا . ان قيل لم وصلوه والمجاه مقطوع
لا ينبغي وصله لأنه لو قيل لك : ما مجاه [زيد] ؟ قلت : زاي ، ياه ، دال ،
وكتبه مقطعا ، لتفرق بين مجاه الحروف وقراءته . قيل انما وصلوه لأنه
ليس مجاه لاسم معروف ، وانما هي حروف اجتمعت ، يراد بكل حرف معنى .
فان قيل : لم قطعوا [حم عسق] ولم يقطعوا [المص] و [كهيعص] ؟
قيل حم قد جرت في أوائل سبع سور ، فصارت اسما للسور فقطعت
ما قبلها .

وجوزوا في (ق) و (ص) وجهين :- من جزمها فيها حرفان
ومن كسر آخرهما فعلى أنه أمر كتب على لفظها .

القاعدة السادسة :

فما فيه قراءتان فكتبت على إحداهما ، و مرادنا غير الشاذ

(١) سورة الكهف رقم : ٧٧

(٢) سورة الاسراء رقم : ٧٣

من ذلك : مالك يوم الدين ، يخادعون ، وواعدنا ، والصاعقة ،
والرياح ، وتقادوم ، وتظاهرون ، ولا تقاتلوهم ونحوها . ولولا دفاع ،
فرمان ، طائرا في آل عمران والمائدة ، مضاعفة ونحو [عاقبت أيمانكم ، الأوليان
لاستم قاسية] ، قياما للناس ، خطباتكم ، في الاعراف ، طائفة ، حاشا لله ،
وسيعلم الكافر ، تزاور ، زاكية ، فلا تصاحبني ، لاتخذت ، مهادا ، وحرام
على قرية ، ان الله يدافع ، سكارى وما هم بسكارى ، المضغة عظاما ، فكسونا
العظام لحما ، سراجا ، بل ادارك ؛ ولا تصاعر ، ربنا باعد ؛ أساوره ، بلا ألف
في الكل ، وقد قرئت بها وبجذفا ، وغياب الجب ، وأنزل عليه آية في
العنكبوت ؛ وثمرت من أكامها في فصلت وجمالات ، فهم على بينت ،
وهم في الغرفات آمنون . بالتاء ، وقد قرئت بالجمع والافراد . وتقية بالياء
ولامب بالالف ، ويقض الحق بلا ياء ؛ وآتوني زبر الحديد بالنقط تنجي
من نشأه ، ننج المؤمنين ، بنون واحدة ، والصراط كيف وقع ، وبصطة
في الاعراف والمصيرون ، ومصيطر ، بالصاد لا غير . وقد تكتب الكلمة
صالحة للقراءتين نحو : فكهون بلا ألف وهي قراءة ؛ وعلى قراتها هي محذوفة
رسما لانه جمع تصحيح .

[فرع]

فما كتب موافقا لقراءة شاذة من ذلك :- [ان البقر تشابه علينا]
أو كلما عامدوا عهدا ، ما بقى من الربوا ، وقرىء بضم الباء وسكون الواو
وفلقاتلوكم ، انما طائرکم ، طائرہ فی عنقہ ، تساقط ، سامر ، وفضاله فی عامين ،

عليهم ثياب سندس ؛ ختامه مسك ، فادخل في هبدي .
و أما القراءات المختلفة المشهورة بزيادة لا يحتملها الرسم ونحوها
نحو : - أوصى ، ووصى و نجرى تحتها ، و من تحتها ، و سيقولون الله ،
و لله ، و ما عملت أيديهم ، و ما عملته . فكتابته على نحو قراءته ، و كل
ذلك وجد في مصاحف الامام .

[فائدة]

كتبت فواتح السور على صورة الحروف أنفسها لا على صورة النطق
بها اكثافا بشهرتها .

[فائدة أخرى]

هل تجوز كتابته بقلم غير العربي ؟ قال الزركشي : لم أر فيه كلاما
لأحد من العلماء . قال : و يحتمل الجواز لأنه قد يحسنه من يقرؤه بالعربية
- و الاقرب المنع - كما تحرم قرائته بغير لسان العرب ، و لقولهم : القلم
أحد اللسانين و العرب لا تعرف قلبا غير العربي ؛ و قد قال الله تعالى بلسان
عربي مبين - ٥١ .

[آراء العلماء في رسم المصحف]

للعلماء في رسم المصحف آراء ثلاثة هي :

الرأى الاول :

أنه توقيفي لا تجوز مخالفته و اليه ذهب الجمهور و قد سبق أن
بسطة القول [في الشواهد] على ذلك من أقوال العلماء .

أن رسم المصاحف اصطلاحى لا توقيفى ، و عليه فتجوز مخالفته و بمن
 جنح الى هذا الرأى ابن خلدون فى مقدمته . و بمن تحمس له القاضى أبو بكر فى
 الانتصار اذ يقول ما نصه : - و أما الكتاب فلم يفرض الله على الأمة فيها
 شيئاً ؛ اذ لم يأخذ على كتاب القرآن و خطاط المصاحف لا رسماً بعينه دون
 غيره أوجه عليهم و ترك ما عداه ، اذ وجوب ذلك لا يدرك الا بالسمع
 و التوقيف . و ليس فى نصوص الكتاب و لا مفهومه أن رسم القرآن
 و ضبطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص و حد محدود لا يجوز تجاوزه ،
 و لا فى نص السنة ما يوجب ذلك و يدل عليه ، و لا فى اجماع الأمة ما يوجب
 ذلك و لا دلت عليه القياسات الشرعية . بل السنة دلت على جواز رسمه
 بأى وجه سهل لان الرسول صلى الله عليه و سلم كان يأمر برسمه و لم يبين
 لهم وجهاً معيناً و لا نهى أحداً عن كتابته و لذلك اختلفت خطوط المصاحف
 فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللفظ و منهم من كان يزيد و ينقص
 لعلمه بان ذلك اصطلاح و ان الناس لا يخفى عليهم الحال . و لاجل هذا بعينه
 جاز أن يكتب بالحروف الكوفية و الخط الاول و أن يجعل اللام على
 صورة الكاف ، و أن تعوج الالفات و ان يكتب على غير هذه الوجوه ،
 و جاز أن يكتب المصحف بالخط و الهجاء القديمين ؛ و جاز أن يكتب
 بالخطوط و الهجاء المحدثه ، و جاز أن يكتب بين ذلك .

و بالجملة فكل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص عليه

أن يقيم الحجة على دعواه . و أنى له ذلك ؟ . ؟ ١ هـ بتلخيص .

وزيدك هنا معرفة ما ذكره العلامة ابن المبارك نقلا عن العارف بالله شيخه عبد العزيز الدباغ اذ يقول في كتابه الابريز ما نصه : [رسم القرآن سر من اسرار الله المشاهدة وكال الرفعة] .

قال ابن المبارك فقلت له : هل رسم الواو بدل الألف في نحو [الصلاة] والزكاة ، والحياة ، ومشكاة ، وزيادة الواو في [ساوريكم ، وأولئك ، وأولاء ، وأولات] وكالياه في نحو [هديهم ، وملائه ، وبأيكم ، وبأييد] . هذا كله صادر عن النبي صلى الله عليه وسلم أو من الصحابة ؟

فقال : هو صادر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي أمر الكتاب من الصحابة أن يكتبوه على هذه الهيئة فما نقصوا ولا زادوا على ما سمعوه من النبي] .

فقلت له : ان جماعة من العلماء ترخصوا في أمر الرسم وقالوا : انما هو اصطلاح الصحابة مشوا فيه على ما كانت قريش تكتب عليه في الجاهلية . وانما صدر ذلك من الصحابة ؛ لأن قريشا تعلموا الكتابة من أهل الحيرة ، وأهل الحيرة ينطقون بالواو في الربا ، فكتبوا على وفق منطقتهم . وأما قريش فانهم ينطقون فيه بالألف ، وكتابتهم له بالواو على منطق غيرهم و تقليد لهم ، حتى قال القاضي ابو بكر الباقلافي : كل من ادعى يحب على الناس رسم مخصوص وجب عليه أن يقيم الحجة على دعواه ، فانه ليس في الكتاب ولا في السنة ولا في الاجماع ما يدل على ذلك ؟

قال ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة وإنما هو توقيف من النبي وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها ؛ لأسرار لا تهتدى إليها العقول ، وهو سر من الاسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية . وكما أن نظم القرآن معجز ، فرسمه أيضا معجز . وكيف تهتدى العقول الى سر زيادة الألف في [مائة] دون [قئة] وإلى سر زيادة اليا في بأيد ، وبأيكم ؟ أم كيف تتوصل الى سر زيادة الألف في [سعوا] بالحج ونقصانها من سعوا في سبا ؟ والى سر زيادتها في [آمنوا] واسقاطها من [باؤ] ، [جاؤ] ، (تبوؤ) ، (فاؤ) بالبقرة ؟ والى سر زيادتها في (يعفوا الذي) ونقصانها من (يعفو عنهم) في النساء ؟ أم كيف تبلغ العقول الى وجه حذف بعض أحرف من كلمات متشابهة دون بعض كحذف الألف من (قرمانا) يوسف والزخرف ، واثباتها في سائر المواضع ؟ .

و اثبات الألف بعد واو (سموات) في فصلك وحذفها من غيرها . و اثبات الألف في (الميعاد) ، (مطلقا) ، وحذفها من الموضع الذي في الانفال ، و اثبات الألف في سراجا حينما وقع ، وحذفها من موضع الفرقان ؟ وكيف تتوصل الى فتح بعض التاءات وربطها في بعض ؟ فكل ذلك لأسرار الهية ، وأغراض نبوية ، وإنما خفيت على الناس لأسرار باطنية لا تدرك الا بالفتح الرباني ، فهي بمنزلة الالفاظ والحروف المقطعة التي في أوائل

السور ، فان لها أسراراً عظيمة ، ومعاني كثيرة : وأكثر الناس لا يهتدون الى أسرارها ، ولا يدركون شيئاً من المعاني الالهية التي أشير اليها : فكذلك أمر الرسم الذي في القرآن حرفاً بحرف .

وأما قول من قال : ان الصحابة اصطلموا على أمر الرسم المذكور ، فلا يخفى ما في كلامه من البطلان ، لأن القرآن كتب في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه ، وحينئذ فلا يخلو ما اصطلم عليه الصحابة ، اما أن يكون هو عين الهيئة أو غيره فان كان عينها بطل الاصطلاح ، لأن أسبقية النبي صلى الله عليه وسلم تنافي ذلك و توجب الاتباع . وان كان غير ذلك فكيف يكون النبي صلى الله عليه وسلم كتب على هيئة كههيئة الرسم القياسي مثلاً ، والصحابة خالفوا وكتبوا على هيئة أخرى ؟ اذن فلا يصح ذلك من وجهين : أحدهما : نسبة الصحابة الى المخالفة ، وذلك محال .

ثانيهما : أن سائر الامة من الصحابة وغيرهم أجمعوا على أنه لا يجوز زيادة حرف في القرآن ولا نقصان حرف منه . وما بين الدفتين كلام الله عز وجل ، فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أثبت ألف الرحمن والعالمين مثلاً ، ولم يزد الألف في [مائة] ولا في [ولأوضحوا] ولا الياء في [بأيد] ونحو ذلك ، والصحابة عاكسوه في ذلك وخالفوه ، لزم أنهم - وحاشاهم من ذلك - تصرفوا في القرآن بالزيادة والنقصان ، ووقعوا فيما أجمعوا هم وغيرهم على ما لا يحل لاحد فعله ، ولزم تطرق الشك الى جميع ما بين الدفتين .

ثم قال ابن المبارك بعد كلام ، نقلت له : فان كان الرسم توقيفا
يوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فانه كالألفاظ القرآن فلم لم يتقل تواترا حتى
ترتفع عنه الريبة وتطمئن به القلوب كالألفاظ القرآن ؟ فانه ما من حرف الا
وقد نقل تواترا لم يقع فيه خلاف ولا اضطراب وأما الرسم فانه إنما نقل
بالآحاد ، كما يعلم من الكتب الموضوعه فيه ، وما نقل بالآحاد وقع
الاضطراب بين النقلة في كثير منه وكيف تضيع الامة شيئا من الوحي ؟
فقال : [ما ضيعت الامة شيئا من الوحي] .

والقرآن بحمد الله محفوظ ألفاظا ورسمًا : فأهل العرفان والشهود
والعيان ، حفظوا ألفاظه ورسمه ، ولم يضيعوا منها شعرة واحدة ، وأدركوا
ذلك بالشهود والعيان الذي هو فوق التواتر . وغيرهم حفظوا ألفاظه
الواصلة اليهم بالتواتر . واختلافهم في بعض حروف الرسم لا يتدح ولا يصير
لامة مضية كما لا يضر جهل العامة بالقرآن وعدم حفظهم لألفاظه . . .
الرأى الثالث :

يميل صاحب التبيان ومن قبله صاحب البرهان الى ما يفهم من كلام
العز بن عبد السلام ، من أنه يجوز بل يجب كتابة المصحف الآن لعامة
الناس على الاصطلاحات المعروفة الشائعة عندهم ولا تجوز كتابته لهم بالرسم
العثماني الأول ، لتلا يوقع في تغيير من الجهال ولكن يجب في الوقت نفسه
المحافظة على الرسم العثماني ، كأثر من الآثار النفيسة الموروثة عن سلفنا الصالح ،
فلا يهمل مراعاة لجهل الجاهلين بل يبقى في أيدي العارفين الذين لا تخلو

منهم الأرض وماك عبارة التبيان في هذا المقام إذ يقول ما نصه :

وأما كتابته [اى المصحف] على ما أحدث الناس من الهجاء فقد جرى عليه أهل المشرق ، بناء على كونها أبعد عن اللبس ، وتحاشاه أهل المغرب بناء على قول الامام مالك وقد سئل . هل يكتب المصحف على ما أحدث الناس من الهجاء ؟ فقال [لا] الا على الكتابة الاولى .

قال في البرهان : قلت : وهذا كان في الصدر الاول ، والعلم حتى غض .
وأما الآن فقد يخشى الالتباس ، ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام :
لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسم الاول باصطلاح الأئمة
لثلا يوقع في تغيير من الجهال . ولكن لا ينبغي اجراء هذا على اطلاقه ،
لثلا يودى الى دروس العلم . وشئ قد أحكمته الصحابة لا يترك مراعاة
لجهل الجاهلين . [ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجة] ٥١ .

أقول هذا الرأى يقوم على رعاية الاحتياط للقرآن من ناحيتين : -
ناحية كتابته في كل عصر بالرسم المعروف فيه ، ابعادا للناس عن اللبس
والخلط في القرآن الكريم ، وناحية ابقاء رسمه الاول المأثور ، يقرؤه
العارفون و مز لا يخشى عليهم الالتباس . ولا شك أن الاحتياط مطلوب
دينى جليل خصوصا في جانب حماية التنزيل .

مزايا الرسم العثماني

ذكر العلماء في هذا الرسم العثماني مزايا وفوائد عديدة نورد أهمها

فيما يلي :-

الفائدة الأولى

الدلالة في القراءات المتنوعة في الكلمة الواحدة بقدر الامكان ،
وذلك أن قاعدة الرسم لوحظ فيها أن الكلمة إذا كان فيها قراءتان أو أكثر ،
كُتبت بصورة تحتل هاتين القراءتين أو الأكثر . فان كان الحرف الواحد
لا يحتمل ذلك بان كانت صورة الحرف تختلف باختلاف القراءات جاء
الرسم على الحرف الذي هو خلاف الأصل . وذلك ليعلم جواز القراءة
به وبالحرف الذي هو الأصل . وإذا لم يكن في الكلمة الا قراءة واحدة بحرف
الأصل ، وذلك ليعلم جواز القراءة به وبالحرف الذي هو الأصل .
وإذا لم يكن في الكلمة إلا قراءة واحدة بحرف الأصل رسمت به مثال الكلمة
تكتب بصورة واحدة وقرأ بوجوه متعددة قوله تعالى [إن هذان لساحران]
رسمت في الصحف العثمانى هكذا [ان هذان لساحران] من غير نقط
ولا شكل ولا تشديد ولا تخفيف في نون ان وهذان ، و من غير ألف
ولا ياء بعد الذال من [هذان] .

وجبى الرسم كما ترى ، كان صالحا عندهم لان يقرأ بالوجوه الأربعة

التي وردت كلها بأسانيد صحيحة .

[أولها] قراءة نافع و ابن عامر و شعبة و الآخوين . بتشديد نون
[ان] وفتحها ، [هذان] بالآلف مع تخفيف النون .

[ثانيها] : قراءة ابن كثير باسكان نون [إن] ، [هذان] بالآلف
مع تشديد النون والمد المشبع للساكنين وصلا ووقفا .

[ثالثها] : رواية حفص باسكان نون [إن] ، [و هذان] بالآلف
مع تخفيف النون .

[رابعها] : قراءة أبي عمرو بتشديد نون [إن] وفتحها ، [هذان]
بالياء مع تخفيف النون .

فتدبر هذه الطريقة المثلى الضابطة لوجوه القراءة لتعلم أن سلفنا
الصالح كان في قواعد رسمه للصحف أبعد منا نظرا وأهدى سبيلا .

الفائدة الثانية :

افادة المعاني المختلفة بطريقة تكاد تكون ظامرة و ذلك نحو قطع كلمة
[أم] في قوله تعالى : [أم من يكون عليهم وكيلا] و وصلها في قوله تعالى :
[أمن يمشى سويا على صراط مستقيم] إذ كتبت هكذا [أمن] بادغام الميم
الأولى في الثانية وكتابتها ميميا واحدة مشددة فقطع أم الأولى في الكتابة
للدلالة على أنها أم المنقطعة التي بمعنى بل . و وصل أم الثانية للدلالة على
أنها ليست كذلك .

الفائدة الثالثة :

الدلالة على معنى خفي دقيق كزيادة الياء في كتابة [أيد] من قوله تعالى [والسما بنينا ما بأيد] إذ كتبت هكذا [بأيد] و ذلك للإيحاء إلى تعظيم قوة الله التي بنى بها السما و أنها لا تشبهها قوة على حد القاعدة المشهورة وهى : زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .

الفائدة الرابعة :

الدلالة على أصل الحركة مثل كتابة الكسرة ياء في قوله تعالى : [وإتاء ذى القربى] إذ تكتب هذا [وإتأى ذى القربى] ومثل كتابة الضمة واوا في قوله سبحانه : [سأريكم دار الفاسقين] إذ كتبت هكذا [سأوريكم] ومثل ذلك الدلالة على أصل الحرف نحو الصلاة و الزكاة إذ كتبتا هكذا [الصلاة] [الزكاة] ليفهم أن الالف فيها منقلبة عن واو .

الفائدة الخامسة :

إفادة بعض اللغات الفصيحة ، مثل كتابة هاء التانيث تا مفتوحة دلالة على لغة طى ، وقد تقدمت الأمثلة لهذا النوع . ومثل قوله تعالى : [يوم يأتى لا تكلم نفس الا بإذنه] كتبت بحذف الياء هكذا [يات] للدلالة على لغة هذيل .

الفائدة السادسة :

حمل الناس على أن يتلقوا القرآن من صدور ثقات الرجال

ولا يتكلموا على هذا الرسم العثماني الذي جاء غير مطابق للنطق الصحيح
في الجملة:

و إن وإن كنت قد أطبت في باب [مرسوم الخط] فمذرة لأن
كلام العلماء فيه طويل و شائك : و ما حملني على الاطالة فيه إلا أني
أردت أن أخلص الورد من الشوك .

مذا و الله أعلى و أعلم بالصواب .

بسم الله الرحمن الرحيم

(التفسير والتأويل)

التفسير في اللغة :

تفعيل من الفسر وهو اليان والكشف ويقال هو مقلوب السفر
تقول أسفر الصبح : إذا أضاء وقيل مأخوذ من الفسرة وهي اسم لما يعرف
به الطيب المرض .

والتفسير في الاصطلاح :

عرفه أبو حيان بأنه : [علم يبحث عن كيفية النطق بالفاظ القرآن ،
ومدلولاتها ، واحكامها الافرادية والتركيبة ومعانيها التي تحمل عليها حالة
التركيب وتمات لذلك .

وقال الزركشى : التفسير : علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم ، ويبان معانيه واستخراج احكامه وحكمه .

والتأويل في اللغة :

أصله من الاول ، وهو الرجوع الى الاصل ، فكانه صرف الآية
الى ما تحتمله من المعاني وقيل من الايالة وهي السياسة ، كان المؤول للكلام
ساس الكلام ووضع المعنى فيه موضعه .

و التاويل في عرف المتأخرين :

هو صرف اللفظ عن المعنى الراجع الى المعنى المرجوح لدليل
يقترن به - وهذا الاصطلاح لا يتفق مع ما يراد بلفظ التاويل في القرآن
عند السلف .

(الفرق بين التفسير والتاويل)

اختلف العلماء في الفرق بين التفسير والتاويل على أقوال عديدة نورد
أهمها فيما يلي :

١ - قيل :

إنهما بمعنى واحد ، ومنه دعوة النبي صلى الله عليه و سلم لابن عباس
[اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل] .

٢ - وقال الراغب :

التفسير أعم من التأويل ؛ وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها ،
و أكثر استعمال التأويل في المعاني والجمال ، وأكثر ما يستعمل في الكتب
الالهية ، وتاويل الرؤيا ، والتفسير يستعمل فيها و في غيرها .

٣ - وقال غيره :

التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا ، والتاويل توجيه لفظ
متوجه إلى معان مختلفة الى واحد منها بما ظهر من الأدلة .

٤ - وقال المازدي :

التفسير : القطع على أن المراد من اللفظ هذا ، والشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا . فان قام دليل مقطوع به فصحيح ، والا فتفسير بالرأى وهو المنهى عنه .

و التاويل : ترجيح أحد الاحتمالات بدون القطع و الشهادة على الله .

٥ - وقال أبو طالب الثعلبي :

التفسير : بيان وضع اللفظ ، اما حقيقة أو مجازا كتفسير الصراط بالطريق والصيب بالمطر .

والتاويل : تفسير باطن اللفظ ماخوذ من الاول وهو الرجوع لعاقبة الامر . فالتاويل اخبار عن حقيقة المراد ، والتفسير اخبار عن دليل المراد لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل ، مثاله قوله تعالى - [إن ربك لبالمرصاد] تفسيره : أنه من الرصد ، يقال رصدته : رقبته ، والمرصاد مفعال منه . و تاويله التحذير من التهاون بامر الله والغفلة عن الآهة والاستعداد للعرض عليه . وقواطع الادلة تقتضى بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ في اللغة .

٦ - وقال الأصماني في تفسيره :

اعلم ان التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن ، و بيان المراد

أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره بحسب المعنى الظاهر وغيره والتاويل أكثره في الجمل . والتفسير اما ان يستعمل في غريب الالفاظ نحو البحيرة والسائبة والوصيلة ، أو في وجيز تبيين لشرح نحو - أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، واما في كلام متضمن لقصة لا يمكن تصويره الا بمعرفتها كقوله [انما النسيء زيادة في الكفر] وقوله [وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها] . واما التاويل فانه يستعمل مرة عاما ومرة خاصا نحو الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق وتارة في جحود الباري عز وجل خاصة . والايمان المستعمل في التصديق المطلق تارة وفي تصديق الحق أخرى واما في لفظ مشترك بين معان مختلفة نحو لفظ وجد المستعمل في الجدة والوجد والوجود .

٧ - وقيل :

التاويل كشف ما انفلق من المعنى ، ولهذا قال البجلي : التفسير يتعلق بالرواية ، والتاويل يتعلق بالدراية ، وهما راجعان الى التلاوة والنظم المعجز الدال على الكلام القديم القائم بذات الرب تعالى .

٨ - وقال أبو نصر القشيري :

التفسير مقصور على الاتباع والسماع والاستنباط بما يتعلق بالتاويل .

٩ - وقال قوم :

ما وقع مبينا في كتاب الله ومعينا في صحيح السنة سمي تفسيرا لأن

معناه قد ظهر ووضح ، وليس لاحد أن يتعرض اليه باجتهاد و لا غيره ، بل يحمله على المعنى الذى ورد لا يتعداه . و التاويل : ما استنبطه العلماء العالمون لمعان الخطاب الماعرون في آلات العلوم .

١٠ - وقال قوم منهم البغوى والكواشى :

التاويل صرف الآية الى معنى موافق لما قبلها وما بعدما تحتمله الآية ،

غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط .

١١ - وقال بعضهم :

التفسير فى الاصطلاح علم نزول الآيات و شؤونها و أفاصيلها

و الاسباب النازلة فيها ، ثم ترتيب مكيا و مدنيها و محكمها و متشابهها و ناسخها و منسوخها و خاصها و عامها و مطلقها و مقيدها و مجملها و مفسرما و حلالها و حرامها و وعدما و وعيدما و أمرما و نهيها و عبرما و أمثالها .

١٢ - وقال ابو حيان :

التفسير : علم يبحث فيه عن كيفية النطق بالفاظ القرآن و مدلولاتها

و أحكامها الافرادية و التركيبية و معانيها التى تحمل عليها حالة التركيب و تيمات لذلك مثل معرفة النسخ و سبب النزول و قصة توضح بعض ما أبهم فى القرآن و نحو ذلك .

١٣ - وقال الزركشى :

التفسير : علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه

و سلم و بيان معانيه و استخراج أحكامه و حكمه و استمداد ذلك من علم اللغة

والتحوي والتصرف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ . قال الامام أبو القاسم محمد بن حبيب النيسابوري رحمه الله : وقد نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتاويل ما امتدوا إليه لا يحسنون القرآن تلاوة ولا يعرفون معنى السورة أو الآية ما عتدم الا التشنيع عند العوام لنيل ما عتدم من الحطام ، أعضوا أنفسهم من الكد والطلب ، وقلوبهم من الفكر والتعب ، اذا سئلوا غضبوا واذا نفروا هربوا ، القيعه رأس ما لهم ، والخرق [الحق] والطيش خير خصالهم ، يتحلون بما ليس فيهم ، ويتنافسون فيما يرذلم ، الصيانة عنهم بمعزل ، وهم من الخنى والجهل في جوف منزل . وقد قال صلى الله عليه وسلم : [المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور] . وقد قيل : من تحلى بغير ما هو فيه فضحته شواهد الامتحان ، وجرى في السباق جرية كبيت نفته الجياد عند الرمان .

قال حكي عن بعضهم أنه سئل عن [الحاقة] فقال : الحاقة : جماعة من الناس اذا صاروا في المجلس قالوا : كنا في الحاقة : وقال آخر : في قوله تعالى : [يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي] قال : أمر الأرض باخراج الماء ، والسماء بصب الماء وكأنه على القلب . وعن بعضهم في قوله تعالى : [واذا الموءودة سئلت^٢] قال : إن الله ليسألکم عن الموءودات فيما بينکم

(١) سورة هود رقم : ٤٤

(٢) سورة التكوير رقم : ٨

في الحياة الدنيا . وقال آخر في قوله تعالى : [فليتنافس المتنافسون] قال :
إنهم تعبوا في الدنيا ، فإذا ادخلوا الجنة تنعموا .

قال أبو القاسم : سمعت أبي يقول : سمعت علي بن محمد الوراق
يقول : سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول : أفواه الرجال حوائيتها وأسنانها
صنائعها ، فإذا فتح الرجل باب حانوته تبين العطار من اليطار ، والبار من
الزمار ، والله المستعان على سوء الزمان وقلة الأعران .

وأما وجه الحاجة إليه : ان القرآن انما نزل بلسان عربي في زمن أفصح
العرب ، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه أما دقائق باطنه فانما كان يظهر لهم
بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم في الأكثر كسؤالهم
لما نزل قوله : [و لم يلبسوا إيمانهم بظلم] فقالوا : وأينا لم يظلم نفسه ، فسره
النبي صلى الله عليه وسلم بالشرك ، واستدل عليه بقوله تعالى [ان الشرك
لظلم عظيم] . وكسؤال عائشة عن الحساب اليسير فقال : ذلك العرض .
وكقصة عدى بن حاتم في الخيط الأبيض والأسود وغير ذلك مما سألوا
عن آحاد منه ، ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة على ذلك
لما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير
تعلم ، فبحن أشد الناس احتياجا الى التفسير . ومعلوم ان تفسير بعضه
يكون من قبل الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها وبعضه من قبل ترجيح بعض
الاحتمالات على بعض . ١٠ هـ

وقال الخويبي : علم التفسير عسر يسير ، أما عسره فظاهر من وجوه
أظهرها أنه كلام متكلم لم تصل الناس الى مراده بالسباع منه ولا امكان
الوصول اليه ، بخلاف الأمثال والأشعار ونحوها فان الانسان يمكن عليه
منه إذا تكلم بان يسمع منه أو بمن سمع منه . و أما القرآن فتفسيره
على وجه القطع لا يعلم الا بان يسمع من الرسول صلى الله عليه وسلم
وذلك متعذر إلا في آيات قلائل . فالعلم بالمراد يستنبط بأمارات ودلائل
والحكمة فيه أن الله تعالى اراد أن يتفكر عباده في كتابه فلم يأمر نبيه
بالتنصيص على المراد في جميع آياته . و أما شرفه فلا يخفى ، قال تعالى :
[يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا] .

وأخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق ابن أبي طلحة عن ابن
عباس في قوله تعالى : يؤتى الحكمة - قال : المعرفة بالقرآن وناسخه ومنسوخه ،
وحكمه ومتشابهه ، ومقدمه ومؤخره ، وحلاله وحرامه ، وأمثاله .

وأخرج ابن مردويه من طريق جوير عن الضحاك عن ابن عباس
مرفوعا - يؤتى الحكمة - قال : القرآن . قال ابن عباس : يعنى تفسيره .
وأخرج البيهقي وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعا [أعربوا القرآن والتسوا
غرائبه] الى غير ذلك من الأحاديث الواردة في شرف - تفسير القرآن .
وقد أجمع العلماء على أن التفسير من فروض الكفايات وأجل العلوم
الثلاثة الشرعية .

وقال الاصبهاني : أشرف صناعة يتعاطاها الانسان تفسير القرآن .

بيان ذلك أن شرف الصناعة : اما بشرف موضوعها مثل الصياغة فانها أشرف من الدباغة لأن موضوع الصياغة الذهب و الفضة وهما أشرف من موضوع الدباغة ، الذى هو جلد الميتة . و اما بشرف غرضها مثل صناعة الطب ، فانها أشرف من صناعة الكناسة لأن غرض الطب إفادة الصحة و غرض الكناسة تنظيف المستراح . و إما بشدة الحاجة اليها كالفقه ، فان الحاجة إليه أشد من الحاجة إلى الطب . إذ ما من واقعة في الكون في أحد من الخلق الا وهى مفتقرة الى الفقه ، لأن به انتظام صلاح أحوال الدنيا والدين ، بخلاف الطب فانه يحتاج اليه بعض الناس فى بعض الاوقات . اذا عرف ذلك فصناعة التفسير . قد حازت الشرف من الجهات الثلاث .

أما من جهة الموضوع فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذى هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة ، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه .

و أما من جهة الغرض فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى و الوصول الى السعادة الحقيقية التى لا تقضى .

و أما من جهة شدة الحاجة إليه فلأن كل كمال دنى أو دنوى عاجلى أو آجلى مفتقر إلى العلوم الشرعية و المعارف الدينية وهى متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

(شروط المفسر و آدابه)

قال العلماء :

من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه اولاً من القرآن فما أجل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر ، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر منه . وقد ألف ابن الجوزي كتاباً فيما أجمل في القرآن في موضع وفسر في موضع آخر منه . فان أعياء ذلك طلبه من السنة فانها شارحة للقرآن وموضحة له .

وقد قال الشافعي رضي الله عنه : كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو بما فهمه من القرآن . قال تعالى : (انا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) .

وقال صلى الله عليه وسلم : (إلا انى أوتيت القرآن ومثله معه) يعنى السنة . فان لم يجمده في السنة رجع الى أقوال الصحابة فانهم أدري بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزول القرآن ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح : وقد روى الحاكم في المستدرک :

(١) سورة النساء رقم : ١٠٥

أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والنزل له حكم المرفوع . وقد ذكر العلماء في المفسر شروطا عديدة نورد أهمها فيما يأتي :

١ - صحة الاعتقاد :

فان العقيدة لها أثرها في نفس صاحبها وكثيرا ما تحمل ذويتها على تحريف النصوص والحياة في نقل الاخبار فاذا صنف أحدم كتابا في التفسير أول الآيات التي تخالف عقيدته وحملها باطل مذهبه ، ليصد الناس عن اتباع السلف ، ولزوم طريقة الهدى .

٢ - اعتماده على النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه

ومن عاصرم ويتجنب المحدثات ، وإذا تعارضت أقوالهم وامكن الجمع بينها فعل وان تعارضت رد الأمر الى ما ثبت فيه السمع ، فان لم يجد سماعا وكان للاستدلال طريق إلى تقوية أحدهما رجح ما قوى الاستدلال فيه كاختلافهم في معنى [حروف الهجاء] يرجح قول من قال إنها قسم وإن تعارضت الأدلة في المراد علم أنه قد اشتبه عليه فيؤمن بمراد الله تعالى ولا يتهم على تعيينه ويزاه منزلة المجل قبل تفصيله والمتشابه قبل تبيته .

٣ - صحة المقصد :

فيما يقول ليلقي التسديد ، فقد قال تعالى : [والذين جامدوا فينا لنهدينهم سبلنا] واما يخلص له المقصد اذا زهد في الدنيا لانه اذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسل به الى غرض يصد عنه صواب ويفسد عليه صحة عمله .

٤ - الالمام باللغة العربية وفروعها :

فان القرآن نزل بلسان عربي مبين ويتوقف فهمه على شرح مفردات الالفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع ، قال مجاهد : [ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب] والمعاني تختلف باختلاف وجوه الاعراب .

وقال ابن تيمية في كتاب الفه في هذا النوع : يجب أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم الفاظه . قال تعالى : [لتبين للناس ما نزل إليهم] يتناول هذا وهذا .

وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرؤون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلبوا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فعملنا القرآن والعلم والعمل جميعا .

وقد نقل السيوطي عن الزركشي [في البرهان] خلاصة الشروط التي لا بد منها لإباحة التفسير بالرأى ، فرأها تدرج تحت أربعة :
الأول : النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع التحرز عن الضعيف والموضوع .

الثاني : الأخذ بقول الصحابي ، فقد قيل : انه في حكم المرفوع مطلقا وخصه بعضهم بأسباب النزول ونحوها بما لا مجال للرأى فيه .

الثالث : الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات الى ما لا يدل

عليه الكثير من كلام العرب .

الرابع : الأخذ بما يقتضيه الكلام ؛ ويدل عليه قانون الشرع و هذا النوع

الرابع هو الذي دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس في قوله :

[اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل] .

٥ - التجرد عن الهوى :

فألهوا. تدفع أصحابها الى نصره مذهبهم ، فيغرون الناس بلبين الكلام

ولحن البيان .

٦ - العلم باصول العلوم المتصلة بالقرآن :

كلام القراءات لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن و ترجيح بعض

وجوه الاحتمال على بعض ، وعلم التوحيد حتى لا يؤول آيات الكتاب التي

في حق الله وصفاته تأويلا يتجاوز به الحق - وعلم الاصول ، وأصول التفسير

خاصة مع التعمق في أبوابه التي لا يتضح المعنى ولا يستقيم المراد بدونها ،

كمعرفة أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ونحو ذلك .

٧ - دقة الفهم :

التي تمكن المفسر من ترجيح معنى على آخر ، أو استنباط معنى يتفق

مع نصوص الشريعة .

وأما العلوم التي يحتاج اليها المفسر فهي خمسة عشر علما اليك يانها :

أحدا : اللغة لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ و مدلولاتها بحسب

الوضع . قال مجاهد : لا يحمل لأحد يؤمن بالله و اليوم الآخر

ان يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب .

الثاني : النحو ، لأن المعنى يتغير و يختلف باختلاف الاعراب فلا بد من اعتباره .

الثالث : التصريف لأن به تعرف الابنية والصيغ .

الرابع : الاشتقاق لأن الاسم اذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافها كالمسيح هل هو من السياحة او المسح .

الخامس و السادس و السابع : المعاني و البيان و البديع لأنه يعرف بالاول خواص تراكيب الكلام من جهة افادتها المعنى ، و بالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة و خفائها و بالثالث وجوه تحسين الكلام و هذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة ، وهي من أعظم اركان المفسر .

الثامن : علم القراءات لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن ، و بالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض .

التاسع : أصول الدين بما في القرآن من الآيات بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى .

العاشر : أصول الفقه إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط .
الحادى عشر : اسباب النزول و القصص ، إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه .

الثاني عشر : النسخ و المنسوخ ليعلم المحكم من غيره .

الثالث عشر : الفقه .

الرابع عشر : احاديث الميمنة لتفسير المجمل والمبهم .

الخامس عشر : علم الموهبة و هو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم ،

واليه الاشارة بحديث [من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم] .

[آداب المفسر]

ذكر العلماء في المفسر آدابا عديدة نجمل أهمها فيما يلي :

١ - حسن النية وصحة القصد :

فاتما الأعمال بالنيات ، والعلوم الشرعية أولى بأن يكون مدف صاحبها منها الخير العام ، واسداء المعروف لصالح الاسلام وان يتطهر من اعراض الدنيا ليسدد الله خطاه ، والانتفاع بالعلم ثمرة الاخلاص فيه .

٢ - حسن الخلق :

فالمفسر في موقف المؤدب ، ولا تبلغ الآداب مبلغها في النفس الا اذا كان المؤدب مثالا يحتذى في الخلق والفضيلة .

٣ - الامتثال والعمل :

فان العلم يجد قبولاً من العالمين اضعاف ما يجد من سمو معارفه ودقة مباحثه - وحسن السيرة يجعل المفسر قدوة حسنة لما يقرره من مسائل الدين ، وكثيرا ما يصد الناس عن تائق العلم من بحر زاجر في المعرفة لسوء سلوكه وعدم تطبيقه .

٤ - تحرى الصدق والضبط في النقل :

فلا يتكلم أو يكتب الا من ثبت لما يرويه حتى يكون في مأمن من
التصحيف واللحن .

٥ - التواضع و لين الجانب :

٦ - عزة النفس :

فن حق العالم أن يترفع عن سفاسف الامور .

٧ - الجبر بالحق :

فأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر .

٨ - حسن السمات :

الذى يكسب المفسر مية و وقارا في مظهره العام و جلوسه و وقوفه
و مشيته دون تكلف .

٩ - الأناة و الروية :

فلا يسرد الكلام سردا بل يفصله و يبين عن مخارج حروفه .

١٠ - تقديم من هو أولى منه - فلا يتصدى للتفسير بحضرتهم و هم أحياء
ولا يغمطهم حقهم بعد المات بل يرشد إلى الاخذ عنهم و قراءة
كتبهم .

١١ - حسن الاعداد و طريقة الآداء :

كان يبدأ بذكر سبب النزول ثم معاني المفردات و شرح التراكيب و بيان
وجوه البلاغة و الاعراب الذى يتوقف عليه تحديد المعنى ، ثم يبين

المعنى العام ويصله بالحياة العامة التي يعيشها الناس في عصره ، ثم يأتي
الى الاستنباط والاحكام .

أما ذكر المناسبة و الربط بين الآيات أولا و آخرها فذلك حسب
ما يقتضيه النظم و السياق .

بسم الله الرحمن الرحيم

(نشأة علم التفسير)

بما لا ريب فيه أن التفسير مر بأطوار كثيرة حتى اتخذ هذه الصورة التي نحمد عليها الآن في بطون المؤلفات والتصانيف ، بين مطبوع ومخطوط ولقد نشأ التفسير مبكرا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان أول شارح لكتاب الله ، يبين للناس ما نزل على قلبه ، أما صحابته الكرام فإذ كانوا يحرّون على تفسير القرآن وهو عليه السلام بين أظهرهم ، يتحمل هذا العبء العظيم ، وبوديه حق الاداء ، حتى إذا لحق عليه السلام بالرفيق الاعلى لم يكن بد للصحابة العلماء بكتاب الله ، الواقفين على أسراره ، المهتمدين بهدى النبي صلى الله عليه وسلم ، من أن يقوموا بقسطهم في بيان ما علوه وتوضيح ما فهموه ، والمفسرون من الصحابة كثيرون الا أن مشاهيرهم عشرة : [الخلفاء الاربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الاشعري ، وعبد الله بن الزبير .

أما الخلفاء فأكثر من روى عنه منهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . والرواية عن الثلاثة نزره جدا ، وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم . وأجدد هؤلاء العشرة بلقب المفسر هو عبد الله بن عباس

الذي شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلم ، ودعا له بقوله : [اللهم
ققه في الدين ، وعلمه التأويل] و سماه ترجمان القرآن .

[التفسير في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه]

كان الصحابة رضوان الله عليهم يعتمدون في تفسيرهم للقرآن في هذا

العصر على ما يأتي : اولا : القرآن الكريم :

فما جاء مجملا في موضع جاء مبينا في موضع آخر ، تأتي الآية مطلقة

أو عامة ، ثم ينزل ما يقيد ما أو يخصها ، وهو الذي يسمى : بتفسير القرآن
بالقرآن ولهذا أمثلة كثيرة فقصص القرآن جاء موجزا في بعض المواضع
ومسها في مواضع أخرى .

وقوله تعالى : [أحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم] فسرته

آية [حرمت عليكم الميتة] وقوله تعالى : [لا تدركه الابصار] فسرته آية
[الى ربها ناظرة]

ثانيا : النبي صلى الله عليه وسلم :

فهو المبين للقرآن ، وكان الصحابة يرجعون اليه اذا أشكل عليهم

فهم آية من الآيات . عن ابن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية [الذين آمنوا

(١) سورة المائدة رقم : ١

(٢) سورة المائدة رقم : ٣

(٣) سورة الانعام رقم : ١٠٣

(٤) سورة القيامة رقم : ٣٣

ولم يلبسوا ايمانهم بظلم^١] شق ذلك على الناس فقالوا: يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه؟ قال: انه ليس الذي تغنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح [إن الشرك اظلم عظيم^٢] كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبين لهم ما يشاء عند الحاجة. عن عقبه بن عامر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر [وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة^٣] إلا وان القوة الرمي.

وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الكوشر نهر أعطانيه ربي في الجنة) وقد أفردت كتب السنة بابا للتفسير بالمأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال الله تعالى: (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) ومن القرآن ما لا يعلم تاويله إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم كتفصيل وجوه أمره ونهيه، ومقادير ما فرضه الله من الأحكام، وهذا البيان هو المقصود بقوله صلى الله عليه وسلم [إلا و إنى أوتيت الكتاب ومثله معه].

ثالثا: الفهم والاجتهاد: فكان الصحابة إذا لم يجدوا التفسير في كتاب الله تعالى ولم يجدوا شيئا في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه

(١) سورة الانعام رقم: ٨٢

(٢) سورة لقمان رقم: ١٣

(٣) سورة الانفال رقم: ٦٠

(٤) سورة النحل رقم: ٦٤

وسلم اجتهدوا في الفهم ، فانهم من صميم العرب بل من أخلصهم وأصرحهم ، يعرفون العربية ، ويحسنون فهمها ، ويعرفون وجوه البلاغة فيها . ولا شك ان التفسير بالمأثور عن الصحابة له قيمته . وذهب جمهور العلماء الى أن تفسير الصحابي له حكم المرفوع اذا كان بما يرجع الى أسباب النزول وكل ما ليس للرأى فيه مجال .

أما ما يكون للرأى فيه مجال فهو موقوف عليه ما دام لم يسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والموقوف على الصحابي من التفسير يوجب بعض العلماء الاخذ به لأنهم أهل اللسان ، ولما شامدوه من القران والاحوال التي اقتصوا بها ولما لهم من الفهم الصحيح .

قال الزركشي في البرهان : [اعلم أن القول قسمان : قسم ورد تفسيره بالنقل ، وقسم لم يرد . و الاول اما ان يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو أكابر التابعين - فالاول يبحث فيه عن صحة السند والثاني ينظر في تفسير الصحابي ، فان فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتماده . أو بما شامدوه من الأسباب والقرائن فلا شك فيه] .

(التفسير في عصر التابعين)

وتلقى أقوال الصحابة نقر من كرام التابعين في الامصار الاسلامية

المختلفة فنشأت في مكة طبقة للفسرين ، و في المدينة طبقة ثابتة ، و في العراق
ثالثة ، قال ابن تيمية : [أعلم الناس بالتفسير أهل مكة ، لانهم أصحاب ابن
عباس كجهماد وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس ، وسعيد بن جبير
وطاوس وغيرهم ، وكذلك في الكوفة أصحاب ابن مسعود وعلاء أهل المدينة
في التفسير مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه ابنه عبد الرحمن بن زيد ومالك
ابن أنس ، و عن التابعين أخذ تابعو التابعين ، فجمعوا أقوال من تقدمهم
وصنفوا التفاسير ، كما فعل سفيان بن عيينة ؛ ووكيع بن الجراح ؛ وشعبة
ابن الحجاج ؛ ويزيد بن هارون ؛ و عبد بن حميد . فكانوا بذلك أرواحا
لابن جرير الطبرى الذى يوشك المفسرون جميعا من بعده أن يكونوا عائلة
عليه .

و بعد ذلك اتجه العلماء في تفاسيرهم اتجاهات متباينة ، فكان ما يسمى
[بالتفسير بالمأثور] وهو امتداد للتفاسير السابقة المسندة إلى الصحابة والتابعين
وتابعيهم ، وكان يسمى [بالتفسير بالرأى] وفيه تعددت المناهج وتضاربت
الافكار فحمد بعضه وذم بعضه ، تبعاً لقربه من هداية القرآن أو بعده عنها .
[الف] - وأجل التفاسير بالمأثور هو تفسير ابن جرير الطبرى ، ويسمى
كتابه [جامع البيان] في تفسير القرآن ، ومن خصائصه أنه عرض فيه
لأقوال الصحابة والتابعين مع تحوير أسانيدهما ، وترجيح بعضها عن بعض ،
واستنباط الكثير من الأحكام وذكر بعض وجوه الأعراب التي تزيد المعنى
وضوحاً غير أنه اعتمداً منه على معرفة الناس حال الأسانيد كان أحياناً ينقل

بعضها ويذكر منها غير الصحيح دون أن ينبه عليه .

و يقرب من تفسير الطبري وربما يفوقه في بعض الأمور تفسير ابن كثير [عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي] المتوفى ٥٧٧٤ هـ ومن مزاياه الدقة في الاسناد . وبساطة العبارة ، ووضوح الفكرة . وتبعاً لهذا المنهج ألف السيوطي كتابه القيم [الدر المنثور في التفسير بالمأثور] وقد اعتمد فيه - كما يفهم من عنوانه - على الأخبار الصحيحة المأثورة التي تجعله أقرب الى الفكرة الاسلامية منه الى الشروح الانسانية . لكن التفسير بالمأثور معرض غالباً للنقد الشديد ، لأن الصحيح من الروايات قد اختلط بغير الصحيح ، ولا تنسى ما لزنادة اليهود والفرس من نشاط لا يجمله أحد في الدس على الاسلام وتشويه تعاليمه السمحاء ، و ما لاصحاب المذاهب والشيع من ولوع غريب بجمع معاني القرآن وتزييلها وفق هواهم ، فكان على المفسر بالمأثور أن يدقق في تعبيره ويحترز في روايته ويحناط كثيراً في ذكر الاسانيد .

[ب] - أما التفسير بالرأى فقد اختلف العلماء فيه فن محرم له ومن يجوز لكن اختلافهم يؤول في النهاية الى أن المحرم منه هو الجزم بان مراد الله كذا من غير برهان أو محاولة تفسير الكتاب الكريم مع جهل المفسر بقواعد اللغة وأصول الشرع ، أو تأييد بعض الأهواء بآيات من القرآن زوراً وبهتاناً أما إذا كان الشروط المطلوبة متوافرة في المفسر فلا مانع من محاولة [التفسير بالرأى] المحمود ، بل لعنا لانبعد إن قلنا : إن القرآن نفسه يدعو

الى هذا الاجتهاد في تدبر آياته و فقه تعاليمه .

قال تعالى : [افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها]

وقال تعالى : [كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو

الآلآب] ٢ .

والتفسير بالرأى الجائز حتى مع استيفائه جميع الشروط التي تجعله محمودا لا مسوغ له إذا عارضه التفسير بالمأثور الذي ثبت لنا بالنص القطعي لأن الرأى اجتهاد ، ولا مجال للاجتهاد في مورد النص ، أما إذا لم يكن تعارض بين التفسير بالرأى المحمود والتفسير بالمأثور فكل منهما يؤيد الآخر ويثبت ، وذلك أكثر ما نجد في كتب التفسير كالأقوال الكثيرة في تفسير قوله تعالى [فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات باذن الله] ٣ فالسابق من رجحت حسناته والمقتصد من استوت حسناته وسيآته ، والظالم المرتكب لبعض المحرمات على رأى ، والسابق المخلص ، والمقتصد المرأى ، والظالم كافر النعمة غير الجاحد لها على رأى ثان ، والسابق هو الذى تمحض للخير والمقتصد هو الذى خلط عملا صالحا وآخر سيئا ، والظالم هو المرجأ إلى أمر الله عزوجل على رأى ثالث ومكذا وهى أقوال كما ترى ليس بينها تاف ولا تعارض .

(١) سورة محمد رقم : ٢٢

(٢) سورة ص رقم : ٢٩

(٣) سورة فاطر رقم : ٣٢

[ج] - وتفسير الفرق الاسلامية المختلفة ترجع - في الحقيقة - الى التفسير بالرأى ، غير أنها تدخل في النوع المذموم منه ، لأن أصحابها لم يؤلفوا الا لتأييد أهوائهم ، أو الانتصار لمذاويهم ومواجيدهم ، من ذلك تفسير المعتزلة والمتصوفة والباطنية .

ويطلب على تفسير المعتزلة الطابع العقلي ، والمذهب الكلامي ، تبعاً لقاعدتهم المشهورة [الحسن ما حسنه العقل ، والقيح ما فجه العقل] ولا ترد النصوص النبوية فيها إلا على أنها شيء ثانوي ، نادراً ما يلجؤون إليه لشرح معاني الآيات ، وخير من يمثل هذه النزعة العقلية في التفسير الزمخشري [محمد ابن عمر الملقب بجار الله المتوفى ٥٣٨هـ] في كتابه [الكشاف] الذي يمتاز بإيراد النكات البلاغية وتحقيق بعض وجوه الإعجاز ، وهو إلى ذلك خال من الاسرائيليات التي تكثر في بعض كتب التفسير بالمأثور وعبارته بليغة موجزة ليس فيها حشو وتطويل .

وإليك نموذجاً من تفسيره : قال في بيان قوله تعالى [ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة] فان قلت : لم أسند الختم إلى الله تعالى واسناده إليه يدل على فعل القبيح بدليل [وما انا بظلام للعبيد] [وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون] . [ان الله لا يأمر بالفحشاء] .

ثم أول اسناد الحتم الى الله تعالى بان الكلام استعارة أو مجاز ،
على معنى أن الشيطان هو الخاتم أو الكافر ، وأسند إلى الله تعالى لأنه هو
الذي أقدره . ومكنه إلى غير ذلك من التفاسير المتصوفة والاشارية [وهذا
تفسير باطل] .

[د] - هذا واننا نضطر أحيانا للرجوع إلى نوع معين من التفاسير :
فاذا كنا نبحث عن النكات البلاغية رجعنا إلى الزمخشري وإذا التمسنا المباحث
الكلامية رجعنا إلى الرازي ، وإذا اردنا اعراب القرآن فعلينا بالبحر المحيط
لأبي حيان الاندلسي [المتوفى سنة ٧٤٥] فقيه كثير من المباحث النحوية ،
والمسائل المتعلقة بالقراءات كما أنه لا يعنى بالنصوص النبوية الا قليلا ، فليس
من باب التفسير بالمأثور .

[هـ] - وقد ألفت في القرن الأخير تفاسير لبعض العلماء المعاصرين
فيها محاولات للتجديد ، وأقلها نصيبا من النجاح - بلا ريب - [الجواهر في
تفسير القرآن] للطنطاوى جوهرى ، فان في تفسيره كل شيء ما عدا التفسير .

أما تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا فانه نمط خاص في تأويل كلام
الله يرجع به مؤلفه غالبا الى آثار السلف محاولا التوفيق بينها وبين مقتضيات
العصر الحاضر ، ويخالفه النجاح في أكثر هذه المحاولات . الا أنه أحيانا
يستمسك ببعض الآراء الضعيفة ويدافع عنها بقوة وعناد والمنهج الذى
يصدر عنه يدل - بوجه عام - على تعمقه للاسلوب القرآنى ، ودراسته له

على أنه للهداية والاعجاز ، وللشهاد سيد قطب في تفسيره [ظلال القرآن]
لمحات مرفقة في فهم أسلوب القرآن في التعبير والتصوير . إلا أن الغرض
الأول منه تبسيط المبادئ القرآنية للنشئ ، فهو إلى التوجيه أقرب منه إلى
التعليم .

والتفسير بالمأثور إذا اجتمع إليه حسن الاستنباط ، وسعة الثقافة
والمقدرة على الترجيح هو أولى التفاسير بالاعتبار . ونحن مع ذلك لا ننصح
بالاقتصار عليه . فلا بد لنا لتأويل الآية أو الآيات من الرجوع إلى مختلف
التفاسير ، ثم نحاول أن نختار لأنفسنا أصلح الآراء فيها ، إلى أن يثبت لنا
على وجه القطع أثر صحيح في الموضوع فناخذ به ونطرح ما عداه ، إذ لا
مسوغ للاجتهاد في مورد النص .

بسم الله الرحمن الرحيم

(التفسير بالمأثور)

التفسير بالمأثور: هو الذى يعتمد على صحيح المنقول بالمراتب التى ذكرت سابقا فى شروط المفسر ، من تفسير القرآن بالقرآن ، أو بالسنة لأنها جاءت مينة لكتاب الله ، أو بما روى عن الصحابة لأنهم أعلم الناس بكتاب الله ، أو بما قاله كبار التابعين لأنهم تلقوا ذلك غالبا عن الصحابة . و هذا المسلك يتحرى الآثار الواردة فى معنى الآية فيذكرها ولا يجتهد فى بيان معنى من غير أصل ، و يتوقف عما لا طائل تحته ولا فائدة فى معرفته ما لم يرد فيه نقل صحيح .

قال ابن تيمية : يجب أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معانى القرآن كما بين لهم ألفاظه فقوله تعالى [لتدين للناس ما نزل إليهم] يتناول هذا و هذا ، و قد قال أبو عبد الرحمن السلمى حدثنا الذين كانوا يقرءونا القرآن كعثمان بن عفان ، و عبد الله بن مسعود وغيرهما : أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات

(١) هو عبد الله بن حبيب التابعى المقرئ المتوفى سنة ٧٢ هـ و هو غير أبى

عبد الرحمن السلمى الصوفى المتوفى ٤١٢ هـ .

لم يتجاوزوا حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا] . ولهذا كانوا يقون مدة في حفظ السورة .

قال أنس : [كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا] رواه أحمد في مسنده ، وأقام ابن عمر على حفظ البقرة ثمان سنين ، أخرجه مالك في الموطأ وذلك أن الله تعالى قال : [كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته] وقال [أفلا يتدبرون القرآن] وتدبر القرآن بدون فهم معانيه لا يتأق ، وأيضا فالمادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشروه . فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودينام .

ومن التابعين من أخذ التفسير كله عن الصحابة ، عن مجاهد قال : [عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته ، أستوقفه عند كل آية وأسأله عنها] .

[الاختلاف فيه]

والتفسير بالماثور يدور على رواية ما نقل عن صدور هذه الأمة وكان الاختلاف بينهم قليلا جدا بالنسبة إلى من بعدهم ، وأكثره لا يعدو أن يكون خلافا في التعبير مع اتحاد المعنى ، أو يكون من تفسير العام ببعض أفراده على طريق التمثيل ، قال ابن تيمية : [والخلاف بين السلف في التفسير قليل ، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ، وذلك نوعان : أحدهما : أن يعبر واحد منهم عن المراد

بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى ، كتفسيرهم [الصراط المستقيم] قال بعضهم : القرآن أى اتباعه ، وقال بعضهم : الاسلام . فالقولان متفقان لأن دين الاسلام هو اتباع القرآن ، ولكن كل منهما نبه على وصف غير الوصف الآخر .

الثانى : أن يذكر كل منها من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل و تنبيه المستمع على النوع ومثاله ما نقل فى تفسير قوله تعالى : [ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا] الآية وقد أسهبنا القول فى تفسيرها كما تقدم .

وقد يكون الاختلاف لاحتمال اللفظ أمرين كلفظ [عسس] الذى يراد به إقبال الليل وادباره .

[حكم التفسير بالمأثور]

التفسير بالمأثور هو الذى يجب اتباعه و الاخذ به لأنه طريق المعرفة الصحيحة و هو آمن سبيل للحفاظ عن الزلل و الزيغ فى كتاب الله ، وقد روى عن ابن عباس أنه قال : [التفسير على أربعة اوجه وجه تعرفه العرب من كلامها ، و تفسير لا يعذر أحد بجهالته ، و تفسير يعلمه العلماء ، و تفسير لا يعلمه أحد [إلا الله] .

فالذى تعرفه العرب هو الذى يرجع فيه الى لسانهم ببيان اللغة و الذى لا يعذر أحد بجهالته : هو ما يتبادر فهم معناه الى الأذمان من النصوص

المتضمنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد ولا لبس فيها فكل امرئ يدرك
مغى التوحيد من قوله تعالى : [فاعلم أنه لا إله الا الله] وإن لم يعلم
أن هذه العبارة وردت بطريق النفي والاستثناء فهي دالة على الحصر .

و أما ما لا يعلمه إلا الله فهو المغيبات ، حقيقة قيام الساعة ، وحقيقة

الروح .

و أما ما يعلمه العلماء : فهو الذي يرجع إلى اجتهادهم المعتد على
الشواهد والدلائل دون مجرد الرأي ، من بيان مجمل أو تخصيص عام أو
نحو ذلك .

بسم الله الرحمن الرحيم

(مناهج المفسرين بالماثور)

١ - تنوير المقياس لابن عباس .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

يمتاز ابن عباس برجوعه في فهم معاني ألفاظ القرآن الكريم إلى الشعر العربي ، لمعرفته بلسة العرب وإلمامه بديوانها . وتعدد الروايات عن ابن عباس ، وتفاوت صحة وضعها ، وقد تتبع العلماء هذه الروايات وكشفوا عن مبالغها من الصحة .

٢ - جامع البيان في تفسير القرآن للطبرى .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

وهو تفسير عظيم القيمة ، لا غنى لطالب العلم عنه ، قال السيوطى :
[وكتابه - يعنى تفسير محمد بن جرير - أجل التفاسير وأعظمها ، فانه يتعرض لتوجيه الأقوال ، وترجيح بعضها على بعض ، والاعراب ، والاستنباط ، فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين] . وقال النوى : أجمت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى .

طريقة ابن جرير في تفسيره :

انه إذا أراد أن يفسر الآية من القرآن يقول : [القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا] ثم يفسر الآية مستشهدا ما يرويه بسنده الى الصحابة أو التابعين من التفسير بالماثور عنهم و يعرض لكل ما روى في الآية . ولا يقتصر على مجرد الرواية ؛ بل يوجه الاقوال و يرجح بعضها على بعض كما يتعرض لناحية الاعراب ان دعت الحال الى ذلك ، و يستنبط بعض الاحكام وقد يقف من السند موقف الناقد البصير أحيانا ، فيعدل من رجال الاسناد ، ويمرح من يمرح منهم ، و يرد الرواية التي لا يثق بصحتها ويعتني ابن جرير بذكر القراءات وتوجيهها ، و يقال انه ألف فيها مؤلفا خاصا ، ومع روايته الأخبار الماخوذة من القصص الاسرائيلي فانه كثيرا ما يتعمقها بالبحث .

ويعتمد ابن جرير على الاستعمالات اللغوية بجانب الروايات المنقولة ، ويستشهد بالشعر القديم ؛ ويهتم بالمذاهب النحوية و يحنك إلى المعروف من لغة العرب ، و يعالج الاحكام الفقهية مجتهدا ، فيذكر أقوال العلماء ومذاهبهم ، و يخلص من ذلك برأى يختاره لنفسه و يرجحه .

و يناقش مسائل العقيدة مناقشة فاحصة ، يرد فيها على الفرق ومذاهب أهل الكلام ، و ينتصر لأهل السنة والجماعة .

٣ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية .

التعريف بهذا الكتاب و طريقة مؤلفه فيه :

كثير الاهتمام بالشواهد الأدبية ، و الصناعة النحوية .

ويقارن ابن حيان في مقدمة تفسيره بينه وبين تفسير الزمخشري فيقول :

[وكتاب ابن عطية انقل ، و أجمع ، و أخلص ، و كتاب الزمخشري الخص

و أخص] . و يعقد ابن تيمية مقارنة بين السكتابين كذلك فيقول : [و تفسير

ابن عطية خير من تفسير الزمخشري ، و أصح تقلا و بحثا ، و لمجد عن البدع

و ان اشتمل على بعضها بل هو خير منه بكثير بل لعله أرجح هذه التفاسير]

و يقول ابن تيمية كذلك : [و تفسير ابن عطية و أمثاله أتبع للسنة و الجماعة ،

و أسلم من البدعة من تفسير الزمخشري ، و لو ذكر كلام السلف الموجود

في التفاسير المأثورة عنهم على وجه لكان أحسن و أجل . فانه كثيرا ما

ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبري و هو من أجل التفاسير و أعظمها

قدرا ثم انه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال ، و يذكر ما

يزعم أنه قول المحققين و إنما يعنى بهم طائفة من أهل الكلام الذين قدروا

أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم و إن كان أقرب إلى

السنة من المعتزلة] .

٤ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير :

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

من أشهر ما دون في التفسير بالمأثور ، و يأتي في المرتبة الثانية

بعد كتاب ابن جرير فهو يفسر كلام الله بالاحاديث و الآثار مسندة إلى

اصحابها مع الكلام عما يحتاج اليه جرحا وتعديلا وترجيح بعض الاقوال
على بعض وتضعيف بعض الروايات وتصحيح بعضها الآخر .

و يمتاز ابن كثير بانه ينبه في كثير من الاحيان الى ما في التفسير
بالمأثور من منكرات الاسرائيليات كما يذكر أقوال العلماء في الأحكام الفقهية ،
و يناقش مناهبهم و أدلتهم أحيانا .

بسم الله الرحمن الرحيم

(التعريف بأهم كتب المفسرين بالمأثور)

أما هذه الكتب التي وقع عليها الاختيار في التفسير بالمأثور فهي ما يأتي :

- ١ - تنوير المقياس من تفسير ابن عباس لابن عباس .
- ٢ - تفسير ابن عينة .
- ٣ - تفسير ابن أبي حاتم .
- ٤ - تفسير أبي الشيخ ابن حبان .
- ٥ - تفسير ابن عطية .
- ٦ - بحر العلوم لابن الليث السمرقندي .
- ٧ - الكشف والبيان عن تفسير القرآن لابن اسحاق .
- ٨ - جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري .
- ٩ - تفسير ابن أبي شيبه .
- ١٠ - معالم التنزيل للبغوي .
- ١١ - تفسير القرآن العظيم لابن الفداء الحافظ ابن كثير .
- ١٢ - الجواهر الحسان في تفسير القرآن .
- ١٣ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي .
- ١٤ - فتح القدير للشوكاني .

بسم الله الرحمن الرحيم

(التعريف بأهم كتب المفسرين بالرأى الجائز)

أما هذه الكتب التي وقع عليها الاختيار ، فهي ما يأتي :

- ١ - مفاتيح الغيب للفخر الرازي
- ٢ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل لليضوي
- ٣ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي
- ٤ - لباب التأويل في معاني التنزيل للنازك
- ٥ - البحر المحیط لأبي حيان
- ٦ - غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري
- ٧ - تفسير الجلالين للجلال المحلي والجلال السيوطي
- ٨ - السراج المنير في الإعانة على معرفة
بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للنخطيب الشريفي
- ٩ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا
الكتاب الكريم لأبي السعود
- ١٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم
و السبع المثاني . للألوسي

هذه هي الكتب التي وقع عليها الاختيار وسأتكلم عنها على حسب

هذا الترتيب ، فاقول وبالله التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم

(منهاج المفسرين) بالرأى الجائز

١ - مفاتيح الغيب للرازي .

ان تفسير الفخر الرازي ليحظى بشهرة واسعة بين العلماء ، وذلك
لانه يمتاز عن غيره من كتب التفسير بالأبحاث الفياضة الواسعة في نواح
شتى من العلم ، ولهذا يصفه ابن خلكان فيقول : إن الفخر الرازي - جمع
فيه كل غريب وغريبة .

موقفه من علوم الفقه والأصول والنحو والبلاغة :

ان الفخر الرازي لا يكاد يمر بآية من آيات الاحكام الا ويذكر
مذاهب الفقهاء فيها ، مع ترويجه لمذهب الشافعي - الذي يقلده - بالادلة
والبراهين . وإهتم الفخر الرازي ببيان المناسبات بين آيات القرآن و سورة .
موقفه من المعتزلة :

إنه كسنى يرى ما يراه أهل السنة ، ويعتقد بكل ما يقرره من
مسائل علم الكلام - لا يدع فرصة تمر دون أن يعرض لمذهب المعتزلة
بذكر أقوالهم والرد عليها . ردا لا يراه البعض كافيا ولا شافيا .

٢ - أنوار التنزيل و اسرار التأويل لليضاوى

التعريف بهذا التفسير و طريقة مؤلفه فيه :

تفسير الیضاوى جمع فيه صاحبه بين التفسير و التأويل على مقتضى قواعد اللغة العربية ، و قرر فيه الأدلة على أصول أهل السنة .

و قد إختصر الیضاوى تفسيره من الكشاف للزخشرى ؛ ولكنه ترك ما فيه من اعتزالات ، و ان كان أحيانا يذهب الى ما يذهب اليه صاحب الكشاف و من ذلك أنه عند ما فسر قوله تعالى [الذين ياكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس^١] و جدناه يقول الا قياما كقيام المصروع ، و هو وارد على ما يزعمون أن الشيطان يخبط الانسان فيصرع ، ثم يفسر المس بالجنون . و يقول [و هذا أيضا من زعمهم أن الجن يمس الرجل فيختلط عقله] و هذا موافق لما ذهب إليه الزخشرى من أن الجن لا تسلط على الانسان إلا بالوسوسة و الاغواء . كما اننا نجد الیضاوى وقع فيما وقع فيه صاحب الكشاف ، من ذكره فى نهاية كل سورة حديثا فى فضلها و ما لقارنها من الثواب و الأجر عند الله ، و قد عرفت هذه الأحاديث بانها موضوعة باتفاق أهل الحديث و نحن نستنكر على الیضاوى صنيعه هذا مع ما له من مكانة علمية ، و إن كان بعض الناس قد تلبس له عذرا فذلك لا يكفى لتبرير هذا العمل الذى لا يليق بعالم كهذا

(١) سورة البقرة رقم : ٢٧٥

وقد ضمن تفسيره من أقوال الصحابة والتابعين . . . ويندر فيه ذكر الروايات الاسرائيلية وخلاصة القول ، فالكتاب من أمهات كتب التفسير ، التي لا يستغنى عنها من يريد أن يفهم كلام الله تعالى ، ويقف على أسراره ومعانيه

٣ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

هذا التفسير ، اختصره النسفي - رحمه الله - من تفسير اليبضاوي ومن الكشاف للزمخشري ، غير أنه ترك ما في الكشاف من الاعتزالات وجرى فيه على مذهب أهل السنة والجماعة . وهو تفسير وسط بين الطول والقصر جمع فيه صاحبه بين وجوه الاعراب والقراءات وضمنه ما اشتمل عليه الكشاف من التكت البلاغية والمحسنات البديعية والكشف عن المعاني الدقيقة الخفية ، وأورد فيه ما أورده الزمخشري في تفسيره من الاسئلة والاجوبة ، لكن لا على طريقته من قوله : فان قيل . . . قلت ، بل جعل ذلك في الغالب كلاما مدرجا في ضمن شرحه للآية كما أنه لم يقع فيها وقع فيه صاحب الكشاف من ذكره للأحاديث الموضوعه في فضائل السور .

هذا وقد أورد النسفي في مقدمة تفسيره عبارة قصيرة ، أوضح فيها عن طريقته التي سلكها فيه ، وأرى أن أسوقها لك بنصها لتنام الفائدة . قال رحمه الله : [قد سألتني من تتعين إجابته ، كتابا وسطا في

التاويلات ، جامعا لوجوه الاعراب و القراءات متضمنا لدقائق طلى البديع
والاشارات حافلا بأقاويل أهل السنة و الجماعة ، غالبا عن أباطيل أهل البدع
والضلالة ليس بالطويل الممل ، ولا بالقصير المخل ، وكنت أقدم فيه رجلا
و أواخر أخرى ، استقصاراً لقوة البشر عن درك هذا الوطر ، و أخذاً
السييل الحذر عن ركوب متن الخطر ، حتى شرعت فيه بتوفيق الله والعوائق
كثيرة ، و أتممت في مدة يسيرة ، و سميت بمدارك التنزيل و حقائق التأويل .

خوضه في المسائل التحوية :

موقفه من القراءات :

و أما من ناحية القراءات فهو ملتزم للقراءات السبع المتواترة مع
نسبة كل قراءة الى قارئها .

خوضه في مسائل الفقه :

موقفه من الاسرائيليات :

و بما نلحظه على هذا التفسير أنه مقل جداً في ذكره للاسرائيليات
و ما يذكره من ذلك يمر عليه بدون أن يتعقبه أحيانا ، و أحيانا يتعقبه
ولا يرتضيه .

٤ - لباب التأويل في معاني التنزيل : للخازن

التعريف بهذا التفسير و طريقة مؤلفه فيه :

هذا التفسير اختصره مؤلفه من معالم التنزيل للبغوي ، و ضم إلى

ذلك ما نقله ولخصه من تفاسير من تقدم عليه ، وليس له فيه - كما يقول - سوى النقل والانتخاب ، مع حذف الأسانيد وتجنب التويل والاسهاب . وهو مكثر من رواية التفسير بالمأثور الى حد ما يعنى بتقرير الأحكام وأدلتها ، يملؤه بالأخبار التاريخية ، والقصص الاسرائيلى الذى لا يكاد يسلم كثير منه أمام ميزان العلم الصحيح والعقل السليم وأرى أن أسوق هنا ما قاله الخازن نفسه فى مقدمة تفسيره ، مبينا به طريقته التى سلكها ، ومنهجه الذى نهجه فيه ، وفيها غنى عن كل شىء . قال رحمه الله تعالى [ولما كان كتاب معالم التنزيل ، الذى صنفه الشيخ الجليل ، والحبر النيل الامام العالم محى السنة ، قدوة الأمة ، وامام الأئمة ، وفقى الفرق ، ناصر الحديث ، ظهير الدين ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى قدس الله روحه ونور ضريحه - من أجل المصنفات فى علم التفسير وأعلاما وأنبها وأسناها جامعا للصحيح من الآقاويل ، عاريا عن الشبه والتصحيف والتبديل ، ومحل بالأحاديث النبوية ، مطرزا بالأحكام الشرعية ، موشى بالقصص الغريبة ، وأخبار الماضين العجبية ، مرصعا بأحسن الاشارات مخرجا بأوضح العبارات مفرغا فى قالب الجمال بأفصح مقال ، فرحم الله تعالى مصنفه وأجزل ثوابه وجعل الجنة مقبله ومآبه] .

توسعه فى ذكر الاسرائيليات :

عنايته بالأخبار التاريخية :

كذلك نلاحظ على هذا التفسير أنه يفيض في ذكر الغزوات التي كانت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأشار إليها القرآن الكريم .
عنايته بالناحية الفقهية :
عنايته بالمواعظ :

ثم إن هذا التفسير كثيرا ما يتعرض للمواعظ والرقاق ، ويسوق أحاديث الترغيب والترهيب ، ولعل نزعة الخازن الصوفية هي التي أثرت فيه فجعلته يعني بهذه الناحية ويستطرد إليها عند المناسبات .
توسعه في ذكر الاسرائيليات :

حيث يتسع في ذكر القصص الاسرائيلية . وكثيرا ما ينقل ما جاء من ذلك عن بعض التفسيرات التي تعنى بهذه الناحية ، كتفسير الثعلبي وغيره .
عنايته بالناحية الفقهية : فاذا تكلم عن آية من آيات الأحكام ، استطرد إلى مذاهب الفقهاء فيها وأدلتهم .
٥ - البحر المحيط - لأبي حيان .
التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

يقع هذا التفسير في ثمان مجلدات كبار ، وهو مطبوع ومتداول بين أهل العلم ومعتبر عندهم المرجع الأول والامم لمن يريد أن يقف على وجوه الأعراب لألفاظ القرآن ، إذ أن الناحية النحوية هي أبرز ما فيه من البحوث التي تدور حول آيات الكتاب العزيز ؛ والمؤلف إذ يتكلم عن هذه

الناحية فهو ابن بجدتها وفارس حلقتها ، غير أنه - والحق يقال - قد أكثر من مسائل النحو في كتابه مع توسعه في مسائل الخلاف بين النحويين ، حتى أصبح الكتاب أقرب ما يكون إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير .

هذا وإن أبا حيان وإن غلبت عليه الصناعة النحوية في تفسيره إلا أنه مع ذلك لم يهمل ما عداها من النواحي التي لها اتصال بالتفسير ، فقرأه يتكلم على المعاني اللغوية للفردات ، ويذكر أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراءات الواردة مع توجيهها ، كما أنه لا يغفل الناحية البلاغية في القرآن ولا يهمل الأحكام الفقهية عند ما يمر بآيات الأحكام ، مع ذكره لما جاء عن السلف ومن تقدمه من الخلف في ذلك ، كل هذا على طريقة وضعها لنفسه ومشى عليها في كتابه وذلك حيث يقول : [وترتيبى في هذا الكتاب ، أنى ابتدئ . أولا بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظة لفظة فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب ، وإذا كان للكلمة معنيان أو معان ذكرت ذلك في أول موضع فيه تلك الكلمة لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه فيحمل عليه ، ثم أشرح في تفسير الآية ذاكرة سبب النزول إذا كان لها سبب ، ونسخها ، ومناسبتها ، وارتباطها بما قبلها ، حاشدا فيها القراءات ، شاذما ومستعملها ذاكرة توجيه ذلك في علم العريضة ، ناقلا تاويل السلف والخلف في فهم معانيها متكلماً على جليها وخفيها ، بحيث أنى لا أغادر منها كلمة وإن اشتهرت

حتى أتكلّم عليها ، مبديا ما فيها من غوامض الاعراب ؛ ودقائق الآداب من بديع و بيان الخ .

هذا و إن أبا حيان يعتمد في أكثر نقول كتابه هذا - كما يقول - على كتاب التحرير والتحجير لأقوال أئمة التفسير ، من جمع شيخه الصالح المقدسي القدوة الأديب ، جمال الدين أبي عبد الله محمد بن سليمان بن حسن بن حسين المعروف بابن النقيب ، رحمه الله . إذ هو أكبر كتاب صنف في علم التفسير و نهاية القول ، فإن أبا حيان قد غلبت عليه في تفسيره الناحية التي برز فيها و برع فيها وهي الناحية النحوية التي طغت على ما عداها من نواحي التفسير .

٦ - غرائب القرآن و رغائب الفرقان : للنيسابوري .

التعريف بهذا التفسير و طريقة مؤلفه فيه :

اختصر النيسابوري تفسيره هذا من التفسير الكبير للفخر الرازي ، و ضم الى ذلك بعض ما جاء في الكشاف وغيره من التفاسير ، و ما فتح الله به عليه من الفهم لمحكم كتابه ، و ضمنه ما ثبت لديه من تفاسير سلف هذه الأمة من الصحابة و التابعين .

موقفه من الزمخشري و الفخر الرازي :

وهو إذ يختصر كلام الفخر الرازي أو يقتبس من تفاسير الكشاف وغيره لا يقف عند النص و قوف من يحمد عند النصوص و يرى أنها ضربة لازب عليه فلا يعترض و لا يتصرف ، بل نجد حرا في تفكيره ، متصرفا

فما يختصر أو يقتبس ، فان وجد فسادا به عليه وأصلحه ، وان رأى نقصانا تداركه فآتمه وأكمله .

كثيرا ما نجده ينقل عن الكشاف فيقول : قال في الكشاف كذا وكذا وقد ينقل ما ذكره صاحب الكشاف وما اعترض به عليه الفخر الرازي ثم ينصب نفسه حكما بين الامامين ، ويسدى رأيه على حسب ما يظهر له .

منهجه في التفسير :

ثم إننا نجد الامام النيسابوري ، قد سلك في تفسيره مسلكا قد يكون منفردا به من بين المفسرين ، ذلك أنه يذكر الآيات القرآنية اولا ثم يذكر القراءات ، مع التزامه ألا يذكر الا ما كان منها منسوبا إلى الأئمة العشرة ، وازافة كل قراءة إلى صاحبها الذي تنسب إليه ، ثم بعد ذلك يذكر الوقوف مع التعليل لكل وقف منها ثم بعد ذلك يشرح في التفسير مبتدئا في ذكر المناسبة وربط اللاحق بالسابق مع عناية كبيرة بذلك سرت إليه من التفسير الكبير للفخر الرازي ، ثم بعد ذلك يبين معاني الآيات بأسلوب بديع يشتمل على ابراز المقدرات واطهار المضمرات وتاويل المتشابهات وتصریح الكنيات وتحقيق المجازات والاستعارات ، وتفصيل المذاهب الفقهية مع توجيه أدلة كل مذهب وما حملت عليه الآية القرآنية ، لتكون مؤيدة لمذهب من المذاهب أو غير متعارضة معه ولا منافية له .

خوضه في المسائل الكلامية :

خوضه في المسائل الكونية والفلسفية :

الزعة الصوفية في تفسير النيسابورى :

ليس في تفسير النيسابورى ما يدل على تشيحه ، هذا وقد نوه صاحب
روضات الجنات بمكانة هذا التفسير فقال : [و تفسيره يريد النيسابورى من
أحسن شروح كتاب الله المجيد وأجمعها للفوائد اللفظية والمعنوية ، وهو قريب
من تفسير مجمع البيان كما وكيفا وسمه وترتيا بزيادة أحكام الاوقات في
أوائل تفسير الآى ومراتب التأويل في آخره والاشارة الى جملة من دقائق
نكات العرية .

٧ - تفسير الجلالين :

جلال الدين المحلى و جلال الدين السيوطى -

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

اشترك في هذا التفسير - كما قلنا - الامامان الجليلان ، جلال الدين

المحلى و جلال الدين السيوطى .

أما جلال الدين المحلى فقد ابتداء تفسيره من أول سورة الكهف الى

آخر سورة الناس ثم ابتداء بتفسير الفاتحة وبعد أن أتمها واقته المنية
فلم يفسر ما بعدها .

وأما جلال الدين السيوطى ، فقد جاء بعد الجلال المحلى فأكمل

تفسيره ، فابتدأ بتفسير سورة البقرة ، وانتهى عند آخر سورة الاسراء ووضع
تفسير الفاتحة في آخر تفسير الجلال المحلى لتكون ملحقة به .

هذا هو الواقع . ولا أظن صاحب كشف الظنون مصيبا حيث
يقول عند الكلام على تفسير الجلالين ما نصه [تفسير الجلالين من أوله إلى
آخر سورة الاسراء للعلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلى الشافعي المتوفى
سنة ٨٦٤ هـ ولما مات كمله الشيخ المتبحر جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر
السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ] وحيث يقول بعد ذلك بقليل وكان المحلى لم يفسر
الفاتحة وفسرها السيوطي تفسيراً مناسباً . انتهى .

٨ - السراج المنير

في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير -

للخطيب الشرييني

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

ذكر مؤلف هذا الكتاب في مقدمته : أن أئمة السلف ألفوا في
التفسير كتباً كل على قدر فهمه ومبلغ علمه ، وأنه خطر له أن يقتنى أثرهم
ويسلك طريقهم ولكنه تردد في ذلك مدة من الزمن ، مخافة أن يدخل
تحت الوعيد الوارد في حق من فسر القرآن برأيه أو بغير علم ، ثم ذكر أنه
استخار الله تعالى في حضرته ، بعد أن صلى ركعتين في روضته وسأله
أن يشرح صدره لذلك وييسره له ، فشرح الله صدره ، ولما رجع من سفره

كتسم ذلك في سره ، حتى قال له شخص من أصحابه : أنه رأى في المنام النبي صلى الله عليه وسلم أو الشافعي يقول : قل لفلان يعمل تفسيراً على القرآن وذكر المؤلف أنه لم يمض عليه إلا القليل حتى قرر في وظيفة مشيخة تفسير في بيرستان و ذكر أن جملة من أصحابه ممن لهم شغف بالعلم طلبوا منه بعد فراغه من شرح منهاج الطالبين ، أن يجعل لهم تفسيراً وسيطاً بين الطول الممل والقصر المخل ، فأجابهم إلى ذلك ممثلاً وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، حيث قال فيما يرويه عنه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : [ان رجالا يأتونكم من أقطار الارض يتفقهون في الدين ، فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً] .

وذكر انه اقتصر فيه على أرجح الأقوال ، و اعراب ما يحتاج إليه عند السؤال ، وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية و أعراب محلها كذب العربية ، و ذكر أن ما يذكره فيه من القراءات فهو من السبع المشهورات .
موقفه من القراءات و الاعراب و الحديث .

و قد وفي فيه صاحبه بما وعد فلم يذكر من القراءات الا ما تواتر

منها .

اهتمامه بالنكت التفسيرية ومشكلات القرآن :

عنايته بالمناسبات بين الآيات :

موقفه من المسائل الفقهية :

إنه يستطرد إلى ذكر الأحكام الفقهية ، ومذاهب العلماء وأدلتهم .
كثرة نقوله عن تفسير الفخر الرازي :

خوضه في الاسرائيليات :

هذا ولم يخل تفسير الخطيب ، من ذكر بعض القصص الاسرائيلية
وذلك بدون أن يتعقبه بالتصحيح أو التضعيف .

٩ - ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم لابن السعدي
التعريف بهذا التفسير وطريقة مولفه فيه :

إن صاحب هذا التفسير شغل كثيرا بالتدريس والقضاء والفتوى
ولكنه اختلس فرصا من وقته ألف فيها كتابه في التفسير ، والمؤلف نفسه
يقرر هذا في مقدمة تفسيره ، ولم يعرف أنه أخرج تفسيره للناس دفعة
واحدة بل ذكر أنه ابتداء فيه فلما وصل إلى آخر سورة [ص] عرض له
من الشواغل ما جعله يتوقف في تفسيره عند هذا الحد فيض ما كتب في
شعبان سنة ٧٣ هـ ثم أرسله الى الباب العالي ، فتلقاء السلطان خان بحسن
القبول ، وانعم عليه بما أنعم وزاد في وظيفته كل يوم خمسمائة درهم ثم
تيسر له بعد ذلك إتمامه ، فاتمه بعد سنة ، ثم أرسله إلى السلطان ثانيا بعد
إتمامه فقابله السلطان بمزيد لطفه وإنعامه وزاد في وظيفته مرة أخرى .

والحق أن هذا التفسير غاية في بابه ، ونهاية في حسن الصوغ وجمال
التعبير كشف فيه صاحبه عن اسرار البلاغة القرآنية بما لم يسبقه أحد إليه

ومن أجل ذلك ذاعت شهرة هذا التفسير بين أهل العلم ، وشهد له كثير من العلماء بأنه خير ما كتب في التفسير .

ومن هنا يتبين لنا أن أبا السعود يعتمد في تفسيره على تفسير الكشاف والبيضاوي وغيرهما من تقدمه .

عنايته بالكشف عن بلاغة القرآن و سر إعجازه .

إهتمامه بالمناسبات وإلمامه ببعض القراءات .

إقلاله من رواية الاسرائيليات .

إقلاله من ذكر المسائل الفقهية .

تناوله لما تحتمله الآيات من وجوه الازراب .

وبالجملة فالكتاب بحق دقيق غاية الدقة ؛ بعيد عن خلط التفسير بما

لا يتصل به غير مسرف فيما يضطر إليه من التكلم عند بعض النواحي العلمية وهو مرجع مهم يعتمد عليه كثير ممن جاء بعد من المفسرين .

١٠ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للآلوسي

التعريف بهذا التفسير و طريقة مولفه فيه :

ذكر مولف هذا التفسير في مقدمته أنه منذ عهد الصخر ، لم يزل متطلباً

لاستكشاف سر كتاب الله المكتوم ، مترقباً لارتشاف رحيقه المختوم ،

وأنه طالما فارق نومه لجمع شوارده ، و فارق قومه لوصال خرائده لا يرفل

في مطارف اللهو كما يرفل أقرانه ، و لا يهب نفائس الاوقات لحساس

الشهوات كما يفعل اخوانه ، وبذلك وفقه الله للوقوف على حقائقه .

مكانة هذا التفسير من التفاسير التي تقدمته :

ان هذا التفسير - و الحق يقال - قد افرغ فيه مؤلفه وسعه وبذل مجهوده حتى اخرجته للناس كتابا جامعا لآراء السلف رواية ودراية مشتملا على أقوال الخلف بكل أمانة وعناية فهو جامع لخلاصة كل ما سبق من التفاسير .

موقف الآلوسى من المخالفين لأهل السنة :

و الآلوسى سلفى المذهب سنى العقيدة ، ولهذا نراه كثيرا ما يفند آراء المعتزلة والشيعة ، وغيرهم من أصحاب المذاهب المخالفة لمذهبه .

الآلوسى والمسائل الكونية :

وما نلاحظه على الآلوسى في تفسيره ؛ أنه يستطرد إلى الكلام في الامور الكونية ويذكر كلام أهل الهيئة وأهل الحكمة ؛ ويقر منه ما يرتضيه ، ويفند ما لا يرتضيه .

كثرة استطراده للمسائل النحوية :

موقفه من المسائل الفقهية :

نجده إذا تكلم عن آيات الأحكام فانه لا يمر عليها إلا إذا استوفى مذاهب الفقهاء وأدلثهم مع عدم تعصب منه لمذهب بعينه .

موقفه من الاسرائيليات :

وما نلاحظه على الآلوسى أنه شديد النقد للاسرائيليات والأخبار المكذوبة التي حشا بها كثير من المفسرين وظنوها صحيحة مع سخريّة منها أحيانا. تعرضه للقراءات والمناسبات وأسباب النزول :

إن الآلوسى يعرض لذكر القراءات ولكنه لا يتقيد بالمتواتر منها كما أنه يعنى بإظهار وجه المناسبات بين السور ، كما يعنى بذكر المناسبات بين الآيات و يذكر أسباب النزول للآيات التي نزلت على سبب ، وهو كثير الاستشهاد بأشعار العرب على ما يذهب إليه من المعانى اللغوية .

الآلوسى والتفسير الاشارى :

ولم يفت الآلوسى أن يتكلم عن التفسير الاشارى بعد أن يفرغ من الكلام عن كل ما يتعلق بظاهر الآيات ، ومن هنا عد بعض العلماء تفسيره هذا فى ضمن كتب التفسير الاشارى ، كما عد تفسير الديسابورى فى ضمنها كذلك ولكنى رأيت أن أجعلها فى عداد كتب التفسير بالرأى المحمود ، نظرا إلى أنه لم يكن مقصودهما الأهم هو التفسير الاشارى بل كان ذلك تابعا - كما يبدو - لغيره من التفسير بالظاهر ، وهذه - كما قلت - من مسألة اعتبارية لا أكثر ولا أقل وإنما أردت أن أبين جهتي الاعتبار .

وجملة القول ، فروح المعانى للآلوسى ليس الا موسوعة تفسيرية قيمة . جمعت جل ما قاله علماء التفسير الذين تقدموا عليه مع النقد الحر والترجيح الذى يعتمد على قوة الذهن وصفاء القريحة ، وهو وان كان يستطرد

الى نواح عليية مختلفة مع توسع يكاد يخرججه عن مهمته كفسر إلا انه متزن
فى كل ما يتكلم فيه بما يشهد له بغزارة العلم على اختلاف نواحيه وشمول
الاحاطة بكل ما يتكلم فيه فجراه الله عن العلم و أهله خير الجزاء ، إنه سميع
مجيب و بعد

فهذه هى أهم كتب التفسير بالرأى الجائز وهناك كتب أخرى تدخل
فى هذا النوع من التفسير ولها أهميتها وقيمتها ، كما أن لها شهرتها الواسعة
بين أهل العلم الذين يعنون بالتفسير ، غير أنى أمسكت عنها هنا مخافة
التطويل ، ولعدم إمكان الحصول على بعضها وأحسب أن فى هذا القدر
كفاية ونغنى عن كتب أخرى كثيرة . هذا والله أعلى وأعلم بالصواب .

والحمد لله اولا وآخرا . وصلى الله وسلم وبارك على من لانبى
بعده سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن بيان و معجزة في آن واحد

اقتضت حكمة الله تبارك و تعالى : أن تكون معجزة الرسالة الخاتمة
أو الآية الدالة على صدق الرسول في التبليغ عن ربه هي القرآن الذي جمع
بين البيان الواضح ، و الاعجاز القاطع لحجة العناد و الجحود ، و ذلك ليتبين
استمرار التبليغ بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستمرار وسائل الاقتناع
على مر الزمن .

و على هذا لم يكن دليل إعجاز القرآن الكريم قاصرا على الاعجاز
البياني كما كان في عصر النزول - بل كان جامعا لعدد هائل من دلائل الاعجاز
بحيث يواجه كل العصور ، و جميع نواحي النشاط الانساني في تفوق معجز .
يجذب الى دعوته المزيد من الاجيال .

أقول ان أئمة الكفر أنفسهم شعروا بسلطانه على القلوب - و هو
القدر المتاح لهم لادراك إعجازه البياني - فقالوا لا تباعهم : [لا تسمعوا لهذا
القرآن و الغوا فيه لعلكم تغلبون] .

وذلك خوفا من سريان الروح التي شعر بها الوليد بن المغيرة حين
قال : [إن له لخلوة و ان عليه لطلاوة و انه لثمر أعلاه مغدق أسفله

وإنه ليعلو ولا يعلى عليه وإنه ليحطم ما تحته] .

و هو نفس الإعجاز الذي أدرك منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وجها يناسبه حينما سمع القرآن في بيت أخته فتهاوى صرح الشرك من قلبه
و شمخ صرح الايمان في كيانه .

و من هذه الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعهم ، و تلك
الهدية التي تعترهم عند تلاوته ، أسلم جماعة من كفار العرب عند سماعهم
آياته منهم جبير بن مطعم ، فانه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في
المغرب بالطور قال فلما بلغ قوله تعالى : [أم خلقوا من غير شيء أم هم
الخالقون] الى قوله [المسيطرون] كاد قلبي أن يطير ، و ذلك أول ما قر
الاسلام في قلبي .

إلى غير ذلك مما هو معلوم لنا في تاريخ دعوة الاسلام .
لقد صحح القرآن كثيرا من النظريات العلمية التي كانت سائدة في
عصر التنزيل و سجل في مكان تلك النظريات حقائق ثابتة لا تقبل التبديل
ولا التغيير ، فكان ذلك إلى جانب استعمال القرآن للحقائق الكونية في
الدعوة الى الخالق الحكيم المبدع تحديا للعقل البشري باحقاق الحق مكان
الباطل على يد رسول أمي ما كان يتلو كتابا و لا يحظه يمينته .

و صدق الله تعالى الذي تحدى العالم كله في كل العصور في معرض
الدلالة على وحدانيته وتفرد بالسلطان ، و ذلك حينما قرر قيام دولة الاسلام

على الأرض وعجز كل القوى العالمية عن أن تقضى على مجدها قال : [وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا] .

وقال : [إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون] .

مؤامرات العالم على الاسلام وصدوده شامخا أمام المؤامرات بل واتساع سلطانه على القلوب أعظم دليل وأصدق برهان على اتساع مدى الاعجاز القرآني إلى جانب إقناع البيان وتجاوز هذا الاعجاز نطاق البلاغة والفصاحة ، وتصحيح النظريات العلمية ، والتنبؤ بالمستقبل إلى نطاق السياسة والاجتماع والعلوم التجريبية كلها . أما والرسول العظيم يأبى أن تكون الشمس في يمينه والقمر في يساره إلا أن يظهر دين الله ، فالأمر إذن فوق جودة الأسلوب - فوق كل الاعتبارات . وذلك هو : اذعان العرب عاجزين ، أو انقيادهم محتارين الى تلك العظمة القرآنية التي تفوق مقاييس العظمة الاسلوبية المتعارفة آنذاك وكانت ناقة صالح ، وعصا موسى وبقية آياته التسع ، وإحياء الموتى على يد عيسى عليهم السلام آيات مؤيدات لبيان اللسان وحجة العقل وتحديا لأهل العناد بأن قوة عظمى تحكم الكون غير قوة المادة .

كما تحدى موسى سحر قومه بعصاه وعيسى طب عصره باحياء الموتى

وآمن الكثيرون حينما تأملوا وتدبروا وعابنوا المعجزة بالقلوب .

فالإعجاز على أى حال هو - وسيلة إيمان ، ووسيلة ضلال - [يضل

به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين] .

من هنا كان وجه من وجوه عظمة القرآن هو أن يجمع بين اليان

والاعجاز فلا تكون الآية الدالة على صدق الرسول منفصلة عن اليان كما كان

ذلك في رسالة موسى وعيسى عليهما السلام ، اذ كانت آية موسى التسع

واحياء المسيح للوتى شيئا منفصلا تماما عن صلب التوراة والانجيل . أما القرآن

فلما كان مصدقا للتوراة والانجيل ومهيئا عليهما ، وجامعا لحقائقهما ، فقد اجتمع

في صلبه البلاغ المبين والاعجاز القائم مدى الدهر ، وما ذاك الا لانه كتاب

لم ينزل لهداية العرب خاصة وإنما نزل لهداية البشرية كلها في عصر الرسول

وبعد عصره وإلى أن تقوم الساعة . فلو انفصلت آية صدق الرسول عن

نفس القرآن كما حدث في الرسائل السابقة فمن الذى كان يأتى الناس بهذه

الآية التى هى المعجزة بمعناها الاصطلاحي الآن ؟ يعنى أنه إذا ارتاب قوم

في صدق النبي صلى الله عليه وسلم في عصرنا الحاضر فمن أين نأتى بالرسول

ليطالبوه بمعجزة مادية تدل على صدقه ؟ ولهذا كان القرآن نفسه يانا ومعجزة

في آن واحد ولم تكن مادة إعجازه شيئا واحدا بحيث لا تلائم الا عصرا

واحدا ، أو مجموعة من الاجيال بعينها بل كانت مواد إعجازه كامنة في أطوائه ،

وكلما تقدم المتكرون الجاحدون في العلم المادى انكشف من وجوه إعجازه

وجه يقمع ضلالات الكفر ، ويهدى إليه الألوف المؤلفة في كل عصر ،
وهو ما نشهده الآن وقبل الآن وما تشهده الأجيال بعد الآن بأذن الله .

وقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هذا المعنى في حديث
أخرجه البخارى عنه قال : [ما من الأنبياء نبي الا أعطى ما مثله آمن عليه
البشر ، وإنما كان الذى اوتيته وحيا أوحاه الله إلى فارجو أن أكون أكثرهم
تابعا] .

قال فى معناه : إن معجزات الأنبياء انقضت بانقراض أعصارهم ،
فلم يشاهدا إلا من حضرهما ، ومعجزة القرآن باقية الى يوم القيامة ، وخرقه
للعادة فى أسلوبه وبلاغته واخباره بالمغيبات ثابت ، فلا يمر عصر من الأعصار
الا ويظهر فيه شىء مما أخبر أنه سيكون ، ليدل على صحة دعواه .

والمعجزات كانت حسية تشاهد بالابصار ، ومعجزة القرآن تشاهد
بالبصرة فيكون من يتبعه فيها أكثر ، فما يشاهد بعين الرأس ينقض بانقراض
مشاهده ، وما يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمرا .
ومن هنا كان استبطان القرآن للبيان والاعجاز معا فى وقت واحد
دليلا على صدقه وعالمية رسالته .

المراجع

- ١ - الاتقان في علوم القرآن
شيخ الاسلام جلال الدين عبد الرحمن
السيوطي
- ٢ - البرهان في علوم القرآن
للامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي
الدكتور صبحي الصالح
- ٣ - مباحث في علوم القرآن
الدكتور صبحي الصالح
- ٤ - مناهل العرفان في علوم
القرآن
الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني
- ٥ - مناهج الجدل في القرآن
الكريم
الدكتور زاهر عواض الالمى
- ٦ - الأحكام والنسخ في القرآن
الكريم
الشيخ محمد حمزة
- ٧ - القراءات القرآنية
الدكتور عبد الهادي الفضلي
- ٨ - أسرار ترتيب القرآن
للحافظ جلال الدين السيوطي
- ٩ - معاني القرآن
الامام أبو الحسن سعيد بن مسعدة البصرى
- ١٠ - نظرات تحليلية في القصة
القرآنية
الشيخ محمد المجذوب

- ١١- الاشارات العلية في القرآن الكريم
- للشيخ محمد وفا الاميرى
- ١٢- الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه
- لابي محمد مكي بن ابي طالب القيسى
- للإمام محمد بن الجزرى
- ١٣- النشر في القراءات العشر
- ١٤- طيبة النشر في القراءات العشر
- للإمام محمد بن الجزرى
- ١٥- حرز الأمانى - المعروف بالشاطبية
- للإمام ابي القاسم بن فيره الشاطبي
- ١٦- ارشاد المرید
- للشيخ على محمد الضباع
- ١٧- البدور الزاهرة
- للشيخ عبد الفتاح القاضى
- ١٨- أصول القراءات
- للشيخ صابر حسن محمد ابو سليمان
- ١٩- لمحات في علوم القرآن
- للشيخ محمد على الضباع
- ٢٠- اتحاف فضلاء البشر
- لشهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد
- الدمياطى الشبير بالبناء

تابع قائمة المراجع

- ٢١- مقدمتان في علوم القرآن
تحقيق الدكتور آرثر جفرى
- ٢٢- التبيان في أقسام القرآن
العلامة شمس الدين محمد بن أبى بكر
المعروف بابن قيم الجوزية .
- ٢٣- الجديد في أحكام التجويد
الشيخ ابراهيم عبد الرزاق أبو على
عبد الكريم الخطيب
للباقلانى
- ٢٤- اعجاز القرآن
- ٢٥- اعجاز القرآن
- ٢٦- التفسير و المفسرون
محمد حسين الذهبي
- ٢٧- مباحث في علوم القرآن
مناع القطان
- ٢٨- أسرار التكرار في القرآن
لتناج القراء محمود بن حمزة بن نصر
الكرمانى .

شكر وتقدير

أما بعد !

فاني أتوجه باجزل الشكر الى - ادارة مدرسة ثانوية تحفيظ القرآن الكريم بالرياض حيث شجعنتى ومكنتنى من المضى فى هذا السيل .
كما أشكر كل من عاونتى فى هذا الكتاب برأيه ، أو بامدادى بالكتب أو بسعيه أو بقرائه و الاقبال عليه أو بتقديره وتشجيعى على المضى فيه .

و ارجو كل من يطلع عليه أن يلتمس لى العذر ان كنت قصرت ، وأن يرشدنى الى الصواب ان كنت اخطأت ، و يعلم الله اننى - حاولت جهد طاقتى فى تبسيط الأسلوب ، و سبك اللفظ ، و جودة العبارة ، و وضوح المعنى ، و حسن الاخراج ، و اعلى سدوت أو قاربت ، و على كل حال فالعود أحد ان شاء الله و أستغفر الله من كل خطيئة و زلل ، و أسأله أن يقابل بالتبول ما وقفنا اليه من نافع العلم و صالح العمل ، و أن يصلح منا جميعا الحال و المآل ، و أن يحقق للاسلام و المسلمين جميع الآمال .

و الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و آله و صحبه و من تبعهم باحسان الى يوم الدين و سلام على المرسلين ،
و الحمد لله رب العالمين ؟

(خاتمة)

وهذا آخر ما يسره الله تبارك وتعالى من جمع كتابنا هذا المسمى [بمورد الظمان] في علوم القرآن - والله أسأل أن يعم به النفع وأن يتقبله مني عملا خالصا لوجهه الكريم ، وأن يكون حجة لي يوم القيامة وكفة راجحة في - ميزان أعمالى - يوم يقوم الناس لرب العالمين انه - على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

وكان الفراغ من تأليفه يوم الاثنين ليلة الثلاثاء الموافق ١٧ من شهر ربيع الثانى سنة ١٤٠٣ هـ من الهجرة النبوية .

والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وصلى الله وسلم وبارك على من لانى بعده سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المؤلف :

صابر حسن محمد أبو سليمان

مدرس علوم القرآن

بثانوية تحفيظ القرآن الكريم

بالرياض .

(فهرس السكتاب)

الصفحة	الأبواب
٣	١ - كلمة الناشر
٥	٢ - مقدمة المؤلف
٦	٣ - علوم القرآن
٩	٤ - الوحي تعريفه أنواعه طرقة
١٨	٥ - معرفة المكي والمدني
٢٨	٦ - أسباب النزول
٤١	٧ - الاحرف السبعة
٥٤	٨ - المحكم والمتشابه
٦٣	٩ - العام والخاص
٧٣	١٠ - الناسخ والمنسوخ
٨٦	١١ - المطلق والمقيد
٨٩	١٢ - المنطوق والمفهوم
٩٧	١٣ - اعجاز القرآن
١١٠	١٤ - قصص القرآن

فهرس الكتاب

الصفحة

الأبواب

١١٦

١٥ - امثال القرآن

١٣٦

١٦ - علم الرسم القرآني

١٨٠

١٧ - التفسير و التاويل و الفرق بينها

١٨٩

١٨ - شروط المفسر و آدابه

١٩٤

١٩ - آداب المفسر

١٩٧

٢٠ - نشأة علم التفسير

٢٠٧

٢١ - التفسير بالمأثور

٢١١

٢٢ - مناهج المفسرين بالمأثور

٢١٥

٢٣ - التعريف باهم كتب المفسرين بالمأثور

٢١٦

٢٤ - التعريف باهم كتب المفسرين بالرأى الجائز

٢١٧

٢٥ - مناهج المفسرين بالرأى الجائز

٢٣٤

٢٦ - القرآن بيان و معجزة في آن واحد

٢٣٩

٢٧ - المراجع

٢٤٢

٢٨ - شكر و تقدير

٢٤٣

٢٩ - خاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

من منشورات

مكتبة ابن تيمية الخيرية للتوعية الاسلامية

هذه آيات لابراهيم بن الاادم رحمه الله في الحث على قيام الليل قال :

قم الليل يا هذا لعلك ترشد
أراك بطول الليل ويحك نأتما
أترقد يا مغرور والنار توقد
ألا إنها نار يقال لها لظى
فأراك العصيان ويحك خلها
ولو علم البطل ما نال زامد
فصام وقام الليل والناس نوم
بعزم وحزم واجتهاد ورغبة
فلو كانت الدنيا تدوم لأملها
فكم بين مشغول بطاعة ربه
فهذا سعيد في الجنان منعم
كأنى بنفسى في القيامة واقف
وقد نصب الميزان للفصل والقضا
الى الله يرجو لطفه تحت عرشه
ليشفع عند الله في أهل موقف
فصل الهى كل يوم وليلة
مع الآل والأصحاب ما قال قائل

الى كم تنام الليل والعمر ينفد
وغيرك في محرابه يتهدد
فلا حرما يطفى ولا الجمر يخذ
فنظلم أحيانا وحينما توقد
ستحشر عطشانا ووجهك أسود
من الأجر والاحسان ما كان يرقد
ويخلو رب واحد يتعبد
ويعلم ان الله ذو العرش يعبد
لكان رسول الله حيا يخلد
وآخر بالذنب الثقيل مقيد
وذاك شقى في الجحيم مخلد
وقد فاض دمعى والمفاصل ترعد
وقد قام خير العالمين محمد
بكل دعاء صالح وهو ساجد
توات على العاصين فيه الشدائد
على أحمد المختار ما حن راعد
قم الليل يا هذا لعلك ترشد